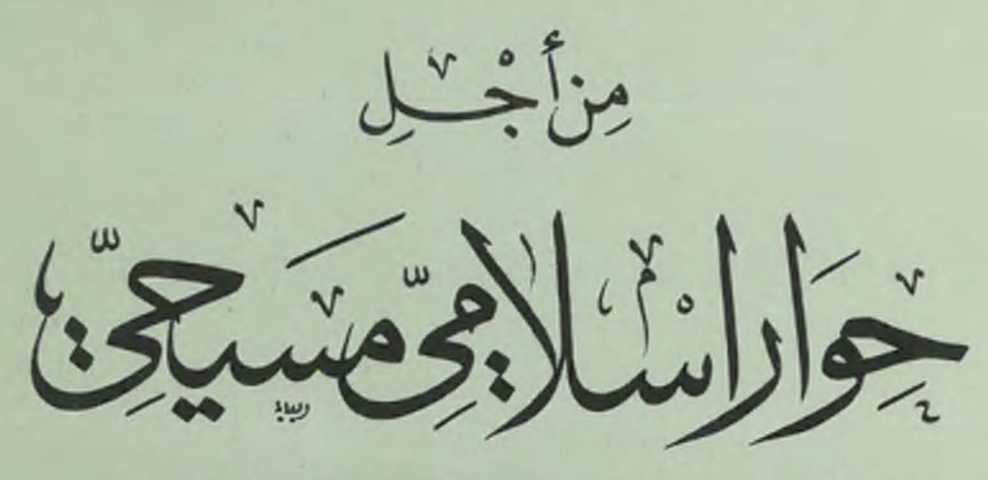


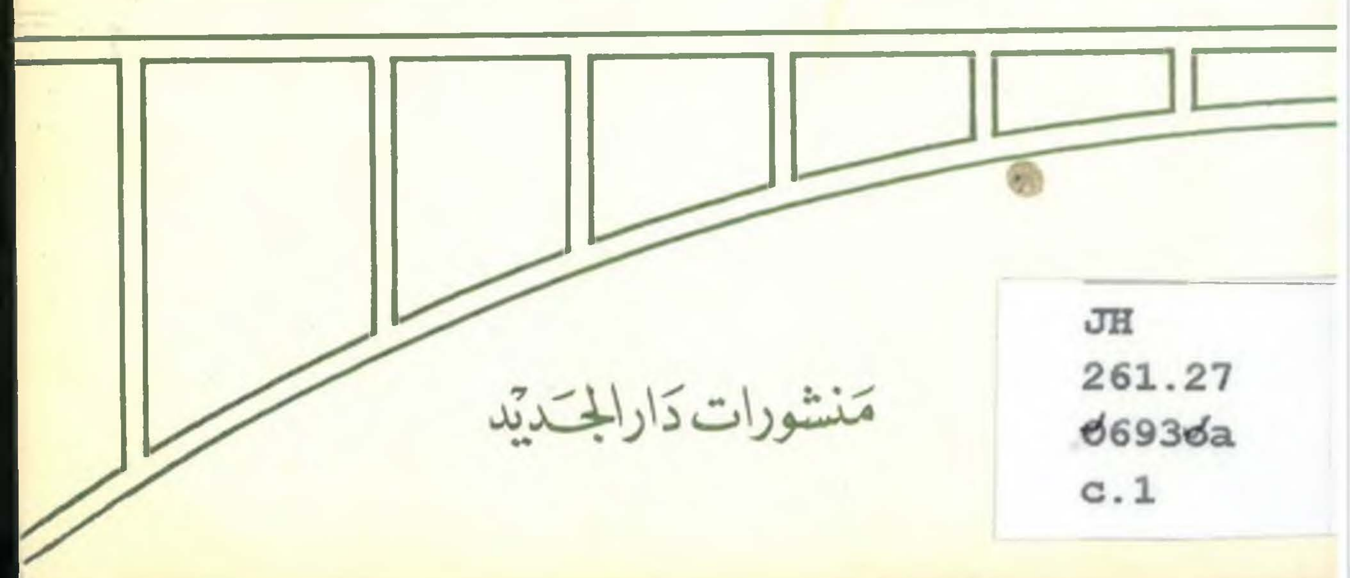
من أجل حوار اسلامي مسيحي

موقف المسيحية من الاسلام كما حدده الفاتيكان

ترجمة وإعداد

الدكتور سليم اليافي

زهير المارديني



منشورات دار الجديد

من أجل

حوار اسلامي مسيحي

موقف المسيحية من الاسلام كما حدده الفاتيكان

ترجمة وإعداد

الدكتور سليم اليافي زهير المارديني

منشورات دار الجديد

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

المقدمة

بقلم الاستاذ الدكتور بطرس ديب

الله محبة، والانسان كائن مخلوق على صورة خالقه. والمسيحي، مصلياً، يخاطب العلي قائلا: ابانا الذي في السماوات.

من هنا، كان على المسيحي أن يدين بالمحبة، محبة الله عز وجل، ومحبة القريب اي سائر الناس دونما تمييز كما يحب المرء ذاته. من هنا قول القديس يوحنا الصليبي:

(اقربائي هم البشر، اقربائي هم الصالحون، أقربائي هم الخطاة).

ومن هنا كان نداء الكرسي الرسولي (الفاتيكان) في أعقاب المجمع المسكوني، مستزيدا ابناءه تقاربا مع القريب. فكم بالحري مع القريب المسلم الذي يعتبر الخلق عيال الله، وينظر الى المسيحي كأقرب الناس مودة له ويرى في قلبه رأفة ورحمة، ويحيط المسيح وأمه بتكريم خاص كبير.

ذلك هو القصد من الحوار، حوار محبة وإلفة، صراحة

واخلاص، تجرد مطلق لا يبتغي حتى التبشير ـ كما جاء في النداء ـ على ما ينطوي عليه التبشير من سموّ في المحبة بالذات، وإنما فصلوه عن الحوار درءا لتأويل قد يسيء. رأوا في الحوار دربا من دروب التعارف، فالتحابب ـ والانسان عدو ما جهل ـ فتوجه اهتمامهم إلى تأمين سلامة الطريق وتنقيته من الاشواك، واستعرضوا الماضي، بعيده والقريب، فراعتهم ظلماته، فتحروا ما في اساسها من مظالم يتوجب محو آثارها، وأدركوا أن لا بد لذلك من التعالي فوق صغائر الاعتبارات، من التسامي في الشعور بما يليق بسمو القيم الانسانية التي هي محور الموضوع. فلا نستغربن أن يتحدث الكرسي الرسولي بلهجة الاسف العميق عما شاب الماضي من تبادل الجفاء والاخطاء، وان يعتذر عالياً عن كل إساءة قد تكون صدرت منه، وما الانسان بمنزّه عن الزلل، وراح يجزل وبالتفصيل، انواع النصح، تأميناً لاطار يقي الحوار اخطار المفاجآت. ولقد اتيح لي، يوم كنت سفيرا لدى الفاتيكان، أن ألمس، بما لا يرقى إليه شك، حقيقة النوايا وعمقها، وصدق الرغبة في طي سيئات الماضي، لبناء الحاضر والمستقبل. والكرسي الرسولي، إذ يشاهد شتى الامواج تهدد الايمان بالله وبقيم الروح، لا غرو أن ينادي بشَيْد جدار، من تلك القيم بالذات، يصون من كانوا بها مؤمنين، وحفاظا على الجدار من الثغرات، ليس أمنع من روابط المحبة، وفي أساس المحبة التعارف، ومن سبله الحوار.

وإنا ، إذ نقدر للفاتيكان مبادرته حق قدرها، نتوجه إلى الدكتور سليم اليافي، بالشكر والثناء على ما بذله من كريم الجهود لنقل (التوجيهات) الفاتيكانية إلى لغتنا العربية، رغبة منه في توسيع انتشارها. وللدكتور اليافي منزلة علمية مشهود بها. وقد عرفته رجل

فكر، وسياسيا لبقا تُزيِّن تصرفاته مثالية عالية. وهو من القائلين بالاخاء الروحي بين البشر، ومن المنادين بخاصة باللقاءات الاخوية بين المسلمين والمسيحيين. اما ترجمته التي نحن بصددها، فيزيدنا ازاءها عرفانا بالجميل صعوبة النص الاصلي، على وضوحه. فهو غني بالمفردات الدقيقة، وبالتعابير المصقولة قلبا وقالبا. فليس مستبعدا أن يرى البعض شيئا من عدم التطابق بين النصين، وربما اخذوا على المترجم، ولا سيما وهو نفسه يقول أنه آثر عدم التقيد بالحرف، توخيا لما هو، في نظره، زيادة في الايضاح. واني لوطيد الامل بأن تلاقي خطوته تجاوبا مستحبا لدى كل الفئات، ولكم سمعت مفكرين مسلمين كبارا يثنون على مبادرات الفاتيكان، ويؤكدون على وجوب التعارف العميق بين الاسرتين الروحيتين، متمنين أن يقوم كل من الطرفين بدرس حقيقة الاخر، كما يعيشها ويعتقدها، درسا فعليا، وأن يعلنا بجرأة واخلاص عن أسفهما لما قد يكون صدر عنهما من أخطاء، عازمين أكيدا على تفاديها في المستقبل.

عسى الله أن يزيدنا جميعا ظمأً إلى الحقيقة، وسعياً إليها، وجرأة واخلاصا في خدمتها.

المقدمة

بقلم المحامي الاستاذ فيصل طبارة

لكل شيء آلته وآفته. حتى الحوار الذي يراد به أحيانا وجه الحقيقة قد ينقلب شجارا تتغير فيه معالم الحقيقة ومعالم الطريق إليها. وما من داء أدهى من الاسترسال في حوار بدايته خطأ، ووسطه خطأ، ومنتهاه كارثة.

والسؤال البديهي الذي يثب إلى النواظر وثبا هو:

متى يتحاور الناس؟

والجواب عليه بديهي ايضاً وهو :

إن الناس يتحاورون لأنهم يختلفون.

والسؤال البديهي الثاني الذي يسلمنا إليه الاستطراد هو: لماذا يختلف الناس؟

والجواب بديهي عليه أيضا:

فإن الناس يختلفون لاسباب لا يمكن حصرها. ويساعد على

اختلافهم اسباب لا حصر لها. فمن ذلك المشكلة اللفظية: إن الكلمات التي جمّدتها المعاجم تعريفا وتصنيفا تبدو ـ إذا جعلت في سوق الكلام ـ كأنها سلع مختلفة ألوانها. وكما قرر علماء النفس إن القاء نظرة على مكان معين في زمان معين تختلف عن النظرة الثانية الى نفس المكان وفي نفس الزمان، يمكن أن نقول:

إن مدلول الكلام يختلف بين شخص وآخر تبعا لمبلغهما من العلم والثقافة وتبعا لنشأتهما وبيئتهما، بل إنه يختلف لدى شخص واحد باختلاف الزمان والمكان.

وتظل المشكلة اللفظية مشكلة محدودة الابعاد ما دامت مشكلة لفظية فحسب. غير أنها تأخذ أبعادا لا نهاية لها من الحدة والعنف ولا تفضي إلى الحوار العقلاني السليم إذا ظل الناس أسرى لها وإذا أضيفت إليها عوامل أخرى ولم يتح لهم مناخ سوى للتفلت والانعتاق من كابوسها.

ومن ذلك أيضا الاستعلاء، الأمر الذي يورث بعضهم خبال الهيمنة الفكرية وأحيانا الارهاب الفكري، ويورث بعضهم الأخر مرارة الدونية ويفضي إلى النتيجة الطبيعية التي هي الاختلاف الحاد الذي يقطع الطريق على كل حوار.

وإذا كان علماء النفس قد عرّفوا التفكير بأنه جدال الانسان مع نفسه، فإنه لا يعقل ولا يصح في الافهام أن يحاور الانسان نفسه، إذ يبقى هذا الحوار رهين فكر الشخص، قابعا بين جنبيه، ولم ينج من ذلك إلا بعض المفكرين والفلاسفة ذوي النزعة النقدية الحادة المجردة

الذين لبثوا سنين طويلة في حالة من التمزق، وهي ذروة الاختلاف مع الذات التي لا تتهيأ لكل الناس.

فمن أجل حوار اسلامي مسيحي، ولكي ندرأ عن هذا الحوار الاخطار التي كانت تهدده دائما، والآفات التي تنزل بساحته من بعضهم في بعض الاحيان أصدر الكرسي الرسولي هذا الكتاب ونهض بترجمته الدكتور سليم اليافي بذهنية العالم العقلاني وروحية المسلم المؤمن بالعقل، التوّاق إلى الحقيقة، العامل في سبيلها، المتخفف من عقد الخوف والحقد والتزمت.

وإذا كان هذا الكتاب في مضمونه لا يطالب المحاور أن يأخذ بأفكار المحاور الآخر واعتبارها من المسلمات، فليؤذن لقارىء هذا الكتاب ألا يأخذ بجميع ما فيه قضية مسلمة بل أن يجري (حوارا) عليها، اعمالا للقاعدة الواردة فيه.

وموضوع الحوار الاسلامي المسيحي ليس موضوعا بكرا. ولا حاجة بنا إلى التذكير بما كان من أمره منذ بعث الله محمدا بالحق بشيرا ونذيرا. ولكن شتان بين حوار الماضي السحيق والحوار الذي خطط له ودعا إليه الكتاب. ومن أجل ذلك كان الأولى بصاحب هذا الكتاب لو تحرى الدقة أن يجعل عنوانه مثلا: «من أجل حوار اسلامي مسيحي جديد» أو «من أجل حوار اسلامي مسيحي سليم» غير أني لن أتطوع - بل لن أتنطح - باصطناع هذه التسمية أو تلك، فالكتاب قد أخرج للناس بهذه التسمية، وكان أمرا مفعولا.

أصدر الكتاب الكرسي الرسولي (الفاتيكان)، وقدم له الكاردينال (ماريللا) المسؤول عن أمانة شؤون غير المسيحيين:

وإذن، فالكتاب لا يعبّر عن رأي شخصي. بل هو دليل عملي، أو هو ـ خطة عمل ـ وضعه الكرسي الرسولي لكي يعتمده كل من يتصدى للحوار الاسلامي المسيحي من المسيحيين، وان كنت لا املك المعطيات للذهاب إلى حد أن أسلكه في لوازم الايمان الكاثوليكي وملحقاته.

والكتاب موجه ـ طبعا ـ الى المسيحيين بشكل خاص كما جاء في أكثر من موضع فيه، بل هو موجه إلى «المسيحيين الذين يلتقون المسلمين ويتمنون العيش في حوار دائم ومفتوح معهم».

ويصدر هذا الكتاب وقد تنفس صبح القرن الخامس عشر الهجري وآذنت شمس القرن العشرين الميلادي بالغياب. فهو مهيأ ـ اذن ـ بحكم توقيت صدوره لكي يكون من عناوين العمل في القرن الخامس عشر الهجري والقرن الحادي والعشرين الميلادي للراغبين في الحوار من المسيحيين، وهو بذلك كتاب ـ محطة. وفي المحطة يستذكر المسافرون وعثاء السفر ووحشة الطريق. وفيها يقومون البعد ويقيسون المسافة. وان كان فيهم مولع بالاحصاء لجأ الى استقراء الحركات والسكنات في محاولة «لاحراق المراحل» كما يعبر الفرنسيون، والاستغناء عن بعض تلك الحركات والسكنات الزائدة وغير المجدية، استعجالا للوصول. واتباعا لمنهج (تيلور) في اسقاط الزوائد والمعوقات.

يستبعد الكتاب الوهم الخادع القائل ان التعايش هو مظهر للتفاهم في البيئات التي تتألف من فئات دينية مختلفة، ويريد أن يقترن التعايش بفعل وانفعال، بتأثير وتأثر. ويتأتى ذلك بالحوار.

ولا يسقط الكتاب عوامل الاختلاف في وجهات النظر بين الديانتين: المسيحية والاسلام.

ولا يدعي أنه يرمي إلى حمل الآخرين على التخلي عن دينهم الذي ارتضوه، أو أنه قادر على ذلك لو شاء.

ويبرز الكتاب أن الالتقاء للحوار يفترض «أن يعمق المسيحي معرفته بالخطوط الرئيسية للاسلام بشكل يؤمن معرفة تامة بمحاوره» معترفا بكل شجاعة وصدق أن المسلمين لم يلاقوا من العالم المسيحي إلا القليل من التعاطف والود، ومقرا بالظلم والجور الذي نزل بساحتهم في الماضي منتهيا في هذا الخط الى القول بأن من شرائط سلامة الحوار وجديته وفاعليته الاقبال عليه بقلب سليم مبرأ من العقد، خال من الافكار المسبقة، وان تكون الصراحة هي الرائدة، داعيا العالم المسيحي الى العمل تدريجيا على تغيير عقلية الأخوة المسيحيين حيال الدين الاسلامي والمسلمين، داعيا إلى حسن الاستماع وخير الكلام، وتقبل المسلم كما يريد هو أن يكون.

ولو أخذنا معظم شرائط الحوار وطرائقه وأدواته كما وردت في هذا الكتاب لوجدنا أن الاسلام قد أخذ بها. وهي إذا كانت في هذا الكتاب أفكارا مرسلة وتمنيات نظرية، فهي في الاسلام عقيدة وشريعة. ففي الكتاب العزيز: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾، وفيه: ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾.

فهل ثمة خير من الحوار سبيلا إلى التعارف؟ وهل أصرح من هذا النص في الدعوة إلى الحوار، مجرد الحوار.

وإذا كان في كتاب الكرسي الرسولي إشارة إلى أنه لا يطلب من المحاور المسيحي حمل المسلم على تغيير دينه عن طريق الحوار ففي

القران الكريم: ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (سورة البقرة ٢٥٦)، وفيه: ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (سورة يونس ٩٩)، وفيه: ﴿ لكم دينكم ولي دين﴾ (سورة الكافرون ٦).

وإذاكان في الكتاب دعوة إلى الحوار بقلب سليم وبصراحة، ففي التنزيل: ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (سورة العنكبوت ٤٦).

وفيه: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (سورة النحل١٢٥).

وإن نبي الاسلام لم يفرق بين الغايات والوسائل فألزم من يدعو إلى المعروف أن تكون دعوته بالمعروف،بل انه قد جعل الكلمة الطيبة « صدقة».

وبعد،

هل هذا الكتاب كتاب اخلاق أم كتاب في « تكنيك» الحوار؟ هل ينحو نحو البراجماتية فيلجم المران الفكري النظري ويأخذ بالغائية؟ هل ارتاد هذا الكتاب المجهول؟ وهل كان حقا علينا أن نسلكه في الاكتشافات؟

إنه كتاب ـ مفتاح صنعه صانع من مهرة رواد ميدان الحوار، ومهره بخاتم السلطة الكنسية العليا لكي يتيح به لاتباع الكنيسة دخول ميدان الحوار مبرئين من بعض المعوقات.

فهل يكتب لهذا الكتاب أن يبلغ غايته القصوى ويثبت جدواه وفاعليته؟

الأيام كفيلة بالجواب.

هــذا الكتاب

في عصرنا هذا ، الذي نعيش ، تتصارع قوى وعقائد قد تغير معاني حياتنا وتجعلها تتأرجح بين الروح والمادة والأمل واليأس والإيمان والالحاد ، الأمر الذي يجعلنا نمد يدنا الى « العروة الوثقى » نطلب الحق والحقيقة لنصل إلى قبس منها ، وبالتالي الى نظام للحياة شامل لكل ما فيها من عقيدة وفكر وخُلق ومعاملة وتعامل وحرية وايمان .

هذا الصراع ابعد الكثيرين عن المفاهيم الحقيقية للعقائد الروحية والدينية بل اوصلها الى روح التهجم والحقد إن لم نقل إلى القطيعة والعداء والخصام ومرد ذلك انعدام الحوار بين الثقافات والحضارات والعقائد والافكار والمجتمعات لأن الحوار يعمل على الكشف عن القيم من اجل الوصول الى التعايش والتفاهم بينها وبين الافراد أو بينها وبين المجتمعات ذلك التعايش الذي يجب أن نعمل له ونحرص عليه في هذا العصر الذي تقدمت فيه التكنولوجيا تقدماً ازالت به الحدود بين الامم والشعوب وفرضت عليها واجب

الحوار المتبادل بالقول الحسن والمعاملة المبنية على الحق والعدل والاخلاق .

هذا الصراع ادى الى تشويه العقائد وقيمها والى حرب ، بل حروب بينها ، وظهرت في اوائل هذا القرن وحتى اليوم بوادر مشجعة تدعو للحوار فيما بين هذه العقائد والثقافات والحضارات والامم ، وتدعو للتفهم لقيمها والتعايش فيما بينها لا لأنها كانت مجهولة ، بل لأن اكثرها كان محكوماً عليه باحكام مغرضة توجهها المصالح والسياسات والمنافع .

ولما اطلعنا على نداء « الفاتيكان » الى الشعوب المسيحية ، عقب مجمع الفاتيكان الثاني الذي انتهى عام ١٩٦٥ هذا النداء الذي جاء تحت عنوان « توجيهات من اجل حوار بين المسلمين والمسيحيين » والذي صدر في طبعة جديدة خلال عام ١٩٧٠ . رأينا من الواجب ، وفي هذا الخضم الذي نعيش ، ترجمته وتعريبه ونشره ، لوضعه بين ايدي القراء من مسلمين ومسيحيين لعلهم يرون فيه الحقيقة الناصعة لكل دين وعقيدة وتعامل وايمان ، وما احوجنا اليها في ايامنا هذه ، لنبتعد عن الصور البائدة الموروثة عن الماضي والمشوهة بالاحكام المغرضة وبالافتراءات المتبادلة .

ولهذا لم نتردد في الاسراع في تقديم هذا الكتاب آملين ان يحل التسامح محل التعصب والمحبة محل الحقد والتعايش والتفاهم محل التمزق والتباغض والتنابذ ، وقد وجدنا ان « هذه التوجيهات » تدعو الآن ، مسلماً كان ام مسيحياً الى المعرفة المتبادلة والتفهم المتقابل ويجعله يستنير بنور الحب والعقل وروح العصر خصوصاً وان الكنيسة تتصدى في هذه المرحلة بالذات وبجرأة علمية وحضارية

داعية الى الحوار ، الحوار الصادق المبني على العلم والحقيقة والعدالة .

ولا ننسى بالمقابل ان الاسلام اورد نصوصاً صريحة في الكتاب المنزل والاحاديث الشريفة خص بها ديانة المسيحيين من بقية الاديان الاخرى بالمودة والمحبة وصرح في نص الكتاب الكريم بان النصرانية اقرب الاديان مودة الى الاسلام وان الحوار بينهما ممكن وضروري .

فقال تعالى : في سورة آل عمران .

﴿ قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾

وجاء قوله تعالى :

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ﴾ . . .

كما جاء قوله عز وجل .

﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ .

ذلك ان الايمان بالاكراه ليس ايماناً ، لأن الاكراه ينقصه الاختيار الحر والارادة المؤمنة وهذا شرط الايمان لأن الاسلام والمسيحية اجمعا على قواعد الحرية والشورى والتسامح بشرط ان تكون هذه القواعد مبنية على العقل والقلب لمصلحة المجتمع .

والحرية في الاديان ، حرية مسؤولة تتطلب النظر الى كل شيء ، بالعقل والمنطق والحوار وباب الاجتهاد ما زال مفتوحا والاجتهاد هو العقل والحوار هو الاساس ، وقفل الحوار يعني قفل العقول واغلاقها في النهاية ولا يقبل الاسلام ولا المسيحية رجالاً ماتت عقولهم او تحجرت او تخلفت .

من اجل كل هذا نقدم هذا الكتاب دون ان نحلله او نناقش كل ما ورد فيه او ننتقد بعض ما ورد فيه لكي يطلع عليه هؤلاء

الذين يحاولون ابعاد الأخ عن اخته بل يعملون على تشكيك الأخ باخيه وبعقائده وافكاره ولكي يدرسه من يود الاطلاع على كيفية تفكير المسيحي بالاسلام والمسلم بالمسيحية من منطلق منطقي وعلمي وحضاري واخلاقي لكي يعمل على البدء بالحوار ، هذا الحوار الذي نتطلع اليه جميعاً وذلك لخيرنا وخير مجتمعنا وحضارتنا .

وبعد :

نتوجه بصادق الشكر والتقدير لكل من ساهم في دفع هذا الكتاب الى القارىء العربي مسلماً كان ام مسيحياً . هؤلاء الذين يؤمنون بان الحوار هو خير وسيلة للنهوض بمجتمعنا ، ودرء هذه المصاعب التي يواجهها ، ونخص بالشكر الاستاذ الدكتور بطرس ديب لتفضله بتقديم هذا الكتاب والاستاذ المحامي فيصل طبارة لمشاركتهما الصادقة في تقديم هذا الكتاب الى القراء الذين نرجو ان يجدوا فيه ما يسد الفراغ الروحي الذي نعيشه في هذه الايام .

والله الموفق

الدكتور سليم اليافي　　　زهير المارديني

تقديم

نقدم في هذا الكتاب التوجيهات والارشادات التي يمكن أن توحي، وتلهم وتهدي العلاقات بين المسيحيين والمسلمين معترفين، بشكل خاص، بفضل الاب جوزف كوك (Père Joseph Cuoq)، والاستاذ لويس غارده (M. Louis Gardet) لما بذلاه من جهد في سبيل وضع هذه الدراسة واستعانتهما بعدد من المستشارين المتخصصين في الشؤون الدينية، وبعدد من المراسلين ذوي الخبرة.

فلهم جميعا أعمق الشكر لهذا الانجاز الذي سيسهل ويشجع، ولا شك، صداقة أوثق وأعمق بين المسيحيين والمسلمين.

من المؤكد، والمؤلفون يعرفون ذلك تمام المعرفة أن هذه الدراسة ليست سوى الخطوة الأولى، ونأمل أن تتبعها خطوات أخرى، تغنيها أفكاراً وملاحظات عديدة تسمح بالسير قدما في طريق الحوار الاسلامي المسيحي، بشكل أكثر وضوحا وجلاء وأكثر شمولا.

والمهمة يجب أن تستمر لنحصل على الافكار والتوجيهات

اللازمة، ولسوف تكون ولا شك مهمة دقيقة، وتحتاج إلى وقت طويل، لا يمكن لامانة شؤون غير المسيحيين أن تقوم بها وتنفذها وحدها، كما أنه لن يتمكن المسيحيون وحدهم من تحقيقها، وعلى الجميع من علماء اللاهوت، والفلاسفة والمتمرسين من ذوي الخبرة في شؤون الحوار، وعلى جميع المستويات، مسلمين ومسيحيين. . . على هؤلاء أن يفكروا ويعملوا لبناء مجموعة انسانية، يشعر فيها كل انسان بأن الآخر يفهمه ويحترمه ويحبه.

ونحن إذ نتوجه هنا، بشكل خاص، للمسيحيين، فإننا نامل بأن تمهد مطالعة وقراءة هذه الصفحات لحوار مع أمانة شؤون غير المسيحيين لكي نتمكن من الوصول جميعا إلى مزيد من الصفاء والنقاء في نظرتنا إلى العالم الاسلامي، حيث يمكننا تهيئة حوار حقيقي وصادق مع المسلمين في جو من الأمانة والوفاء للحقيقة، وفي جو من الصداقة الخالصة المجردة.

تمهيد

تتأكد وتتوضح، أكثر فأكثر في عالمنا هذا، ظاهرة تعددية العقائد، والثقافات والاديان، وهي ظاهرة أكيدة، تتفاعل باتجاه واحد لا رجوع فيه، ولا يمكن أن نجيب على هذه التعددية بإظهار التسامح والتساهل فقط.

وموقف كهذا كان يمكن أن يتلاءم ويتوافق في زمن كانت فيه الحضارات والثقافات والديانات منطوية على نفسها ويشكل كل منها عالما يكتفي بنفسه، كان يمكن أن تكفي المشاركة في الوجود أو الاقامة، أو التعايش لاقامة علاقات وصلات سليمة، وهذا الموقف بدأنا نسير في طريق تجاوزه، لأن الزمن قد عفى عليه.

ومن الافضل، في مثل هذه الحالة أو المضمون الذي نعيشه أن نتحدث عن موقف القبول والتوافق مع الانسان الآخر، كما هو، وان نتحدث عن الانفتاح له، كما نحن عليه، وذلك من أجل تجاوز الاختلافات في وجهات النظر لنبحث عن الترابط والتوافق اللذين يمكن ان يدفعانا نحو وحدة كاملة، أبعد مما نحن عليه.. وبشكل حسي وواقعي، وهذا الموقف يجب أن نعيشه ونؤمنه بالحوار. والحوار هو

بالفعل، لقاء الآخرين، ومن خلاله يمكننا أن نبحث من أعماقنا، الخلافات العقائدية في وجهات النظر، للوصول إلى وحدة في شعور الانسان نحو أخيه الانسان. والحوار يصل إلى ذروة الانفتاح عندما نجد بأن الآخر معروف ومقبول، حتى في أعماقه التي تثبت أن ذلك هو الانسان المطلوب التعرف إليه على حقيقته.

ومن المؤكد أننا إذا واجهنا الحوار بهذا الشكل فإنه سيتخذ أشكالا متعددة ومتنوعة حسب موضوع التبادل، هذا بالاضافة إلى نوعية المخاطبين والمحاورين وامكاناتهم وقابليتهم.

وللحوار أشكال متعددة.. فهناك الحوار الذي يحدث نتيجة الصدفة، أو نتيجة لقاءات عارضة، يحددها عالم المجاملة والتهذيب، أو نتيجة للعفوية الطوعية التي يحددها الانفعال، أو للعاطفة التي قد تسود الانسان في بعض الاحيان. وهناك الحوار (المهني) الذي يتم بين اشخاص يفكرون في عمل مشترك، والحوار (الثقافي) حيث تمتزج الثقافات من خلال الافراد طبقا للقوانين التي تعمل وتستند إلى كل ما من شأنه أن يرفع من مستوى فرد، أو جماعة، أو أمة... ويمكن أن نسمي هذه القوانين، بقوانين التأهيل، أو التأقلم الاجتماعي.

وهناك الحوار العقائدي والسياسي والاجتماعي حيث تتصادم الآراء والافكار أو تتشابه، تقوى أو تضعف.

ويجدر بنا أن لا ننسى الحوار الديني البحت، وهذا ينقسم إلى حوار عقائدي، تاريخي، وتفسيري للكتب المقدسة وروحي.

كل هذه الانواع ستبقى راسخة في أذهاننا خلال هذه الدراسة، ولكننا لن نتوسع في كل واحدة منها خوفا من الاطالة، لأننا نريد التركيز

على بعض الشروط الضرورية لحوار مسيحي اسلامي، عميق.

ولا نريد هنا أن نقدم (الوصفات)، ولكننا نرجو أن نتمكن من تفسير الروحية التي يجب أن تسود وتنشط هذا الحوار. . روحية مشبعة بالاحترام والحب المجردين لشريكنا في الحوار، الذي يجب أن يكون بعيدا عن الوفاق والتطابق، فضلا عن بعده عن المعارضة والمجادلة.

وليس لنا أن نخفي ، لا نحن ولا هم ، الخلافات في وجهات النظر . . بل إن التعددية هي التي تدعونا إلى أن نظهر كما نحن ، وعلينا جميعاً أن نعي هذه الخلافات تماماً ، كما نعي نقاط الالتقاء بين بعضنا نحن والآخرين ، حتى ولو بقي ، في أغلب الاحيان ، كل واحد منا على مواقفه .

إذن ، الا يمكن ايجاد طريقة لا تكون مدونة في النصوص بل مستقاة من واقع الحياة ، طريقة التقارب والالتقاء ، نكتشف بواسطتها شيئاً ما لدى المخاطبين ، وقابليتهم ، وامكاناتهم. إن الأفكار التي سترد تباعاً في هذه الصفحات ستساعد ، وبكل تواضع ، على التمهيد لوضع الأسس والقواعد التي تدفع المسلمين والمسيحين إلى مثل هذا اللقاء .

وليس هدف هذا الحوار هو هداية الآخرين ، وجعلهم ينقلبون على دينهم ، أو لجعلهم يشكون في ايمانهم وعقيدتهم . . انه يهدف ، وبكل بساطة ، إلى عدم البقاء على مواقف ثابتة ، وجامدة ، في توجهات كل منا ، الخاصة . . ويهدف أيضاً إلى التعاون من أجل اكتشاف السبل التي تمكننا من تجاوز انفسنا ، لكي نصبح أصلح من

ذي قبل ، في علاقاتنا المتبادلة مع الآخرين من أجل توسيع مدى الخير في العالم أجمع .

ولهذا فإننا نتوجه إلى المسيحيين ، وإلى المسيحيين الذين يلتقون بالمسلمين ويتمنون العيش في حوار دائم ومفتوح معهم ، وهذا العزم ، وهذا القرار الأساسي يفرض نوعية معينة للقاء ، ويوجه أفكارنا حسب الامكانيات الخاصة المتاحة ، تلك الامكانيات التي تستند ، بشكل خاص على وجهات النظر الثقافية ، واللاهوتية (الدينية) للمسيحي حيال الأديان الأخرى .

إن خطة العمل التي اتبعناها بسيطة وغير معقدة ، ولسوف نبذل الجهد لتحديد المواقف التي تفرض امكانية اللقاء مع المحاورين المسلمين (الفصل الأول) ، وهذه الاعتبارات الأولية تدعونا لأن نعمق معرفتنا بالخطوط الرئيسية للاسلام بشكل يؤمن لنا معرفة كافية بمحاورينا، وذلك لوضع أسس الاتصال الضرورية للتبادل الروحي فيما بيننا (الفصل الثاني) ، كما سنجسد فيها بعد الخطوط الكبرى والعامة بتقديم صورة تحليلية نموذجية للانسان المسلم الحديث (الفصل الثالث) .

وبالطبع ، فإن هذا العرض الموضوعي للاسلام يتطلب منا إعادة النظر في مواقفنا حياله ، مع نقد ذاتي لأرائنا المسبقة ، والمتعصبة ، والمنحازة (الفصل الرابع) ، إذ اننا خلال الصفحات التالية سنركز على إظهار الفوارق التي تفصل بين المسلم والمسيحي .

إن منطق الحوار هذا يدعونا إلى التخفيف من حدة هذه الفوارق ، ولهذا فإننا سنسعى لتحديد بعض امكانيات اللقاء (الفصل

الخامس) ، وأن نستنتج من إيماننا وعقيدتنا روحانية متفتحة تطابق الرغبة في لقاء المسلمين في حوار روحاني حقيقي ونقي (الفصل السادس) .

هذه بعض الخطوط الكبرى التي توجهنا في هذه الدراسة ، إذ لا يمكن أن نقول كل ما نريد في هذا الحيز الضيق من الصفحات .

إن هدفنا هو تقديم بعض التوجيهات ، وعلى القراء أن يحكموا عليها ، وأن يتكيفوا معها ، وأن يتفهموا هذه التوجيهات حسب وجهات نظرهم ، واهتماماتهم ، لا من أجل اعطائهم صيغاً احسن ، بل لنجعل أفكارنا المشتركة تتقدم وتتجه نحو طريق الحوار ، وبكل أشكاله وأنواعه .

الفَصل الأول

مَوقف المسيحي من الحوَار

إن مجرد كلمة (حوار) توشك أن تثير شيئاً من سوء التفاهم ، لانها تحصر في أكثر الاحيان تبادل الآراء بين المتخصصين المساهمين في ندوة حول موضوع معين يراد ايضاحه وشرحه ، وتحديد مفهومه . والحوار كما نفكر به نحن يغطي ميدانا أوسع وأكبر . . انه يتضمن اللقاءات المتواصفة ، والمناقشات حول مواضيع بسيطة تتعلق بالحياة اليومية ، كما يتضمن تبادل الآراء حول المشاريع العلمية والفكرية والثقافية . ونوعية الحوار لا تكمن في الهدف ، ولكنها تكمن في كيفية مقابلة الطرف الآخر من خلال هذا الهدف ، وقد يكون الحوار اكثر نفعاً وفائدة بين عاملين في ورشة ما ، يمدان أيديهما لبعضهما ، من ذلك الحوار بين عالمين يتناقشان ويتجادلان .

وعلى هذا الأساس فإن كل إنسان ، مهما كان مستواه الاجتماعي والفكري ، مدعو للحوار ، ولهذا يجب أن تظل هذه الفكرة الأساسية حاضرة في اذهاننا من خلال الصفحات التالية ، وبالرغم من وجود أسباب تدعونا إلى التوسع في تحليل تلك الفكرة التي قد تبتعد عن الظروف الموضوعية لوجودنا اليومي .

أولاً : التذكير أو استعادة بعض الشروط العامة .

أ ـ يجب أن يتم الحوار بين الأفراد ، لا بين الأنظمة والمذاهب .

ومن المفيد أن نركز على هذه الناحية ، إذ من الضروري أن يتم الحوار مع أشخاص اغنياء بتاريخهم ، فضلاً عن كونهم متعلقين ـ مثلنا ـ ومحكومين بماضيهم ، وبقواعد تفكيرهم وبطباعهم ، وامزجتهم ، ولا يمكن أن يتم الحوار مع أنظمة ومذاهب فلسفية ، أو مع الديانات ، ولكن يجب أن يتم مع اشخاص يعيشون التجربة الانسانية والدينية .

ومما لا شك فيه هو أن الحوار يمكن أن يتم بين العقائد ، إنطلاقاً من بعض نقاط الالتقاء ، ولكن هذا النوع من الحوار لا معنى له ، ولا فائدة ترجى منه ، إلا إذا كان يستطيع مساعدة اللقاء بين الاشخاص ، مع التقليل من أهمية أفكارهم ، وآرائهم المسبقة ، ومع إزالة العوائق التي تقف في وجه هذا الحوار .

إن لقاء الفرد بالفرد هو الأساس .

وأهم شيء في الحوار هو العلاقة التي تربطني بشريكي ، والتي تختلف من شخص إلى آخر ولا تجد لها شبيهاً ، لأنها تتطور طبقاً لمقتضيات الحوار الذي يحدث ويتجلى تدريجياً حسب المد العارض ، أو الجزر للعلاقة التي مهدت للقاء الأول ، أو حسب ما يوثق أو يهدىء من هذه العلاقة .

وهذه الصلة المزدوجة بين الانسان واخيه الانسان تفترض وجود عنصر ثالث هو العلاقة مع الحق ، مع العزة المطلقة والاصيلة ، مع الله .

إنها علاقة داخلية بحتة اكثر عمقاً ، وأقل ظهوراً وانفعالاً من تلك العلاقة التي تجمع كل حوار بشكل عام ، والحوار الديني بشكل خاص .

إنها صلة جوهرية وأساسية تسود ظروف وجودنا ، لأنها توجد الصلة الأساسية التي تجمع كل انسان عاقل ، بالحق والخير المطلق ، وبذلك تتطابق مع الذات الالهية . ولهذا فإن كل حوار جدي ومصمم على التجاوب مع متطلبات الانسان الداخلية سيقودنا إلى اللقاء بالذات الالهية من خلال المحاور الذي يسألني ويستفسر مني . . يحثني ويدعوني إلى إظهار جوهر نفسي الداخلي ، وأن أعبر عنه بالفاظ جديدة . وكل حوار يصبح اذن مصدراً للحياة المتدفقة بتعابير جديدة عن ثروة الانسان الدفينة في علاقته المتعددة الاشكال مع الحق . . مع الله .

وهذه الاعتبارات السريعة ترمي إلى وضع الحوار على المستوى الواقعي ، مع اكثر ما يمكن من حقيقة وعمق .

ومن الخطورة بمكان أن ننظر للانسان الآخر ، كهدف محدد للدراسة ، وهذا خطر دائم ومستمر . وقد نجد سهولة اكثر عندما نقارن الانظمة والمذاهب الدينية والأكوان الاجتماعية والثقافية المختلفة ، وتلك السهولة تبرز عندما نتصدى للأفراد الذين يعتنقونها ، أو عندما يعبرون عن مراجعهم ومصادرهم من خلال تنوع وجودهم الشخصي .

ولا يكفي أن نعرف الاسلام أو نعرف المسيحية . من المؤكد أن معرفتها الموضوعية هذه ضرورية للبدء بالحوار ، وتفهم الانسان الآخر

بكل عمق ولو ادى ذلك على الأقل إلى تبديد سوء التفاهم والأفكار المسبقة التي تعيق اللقاء بين الأفراد .

ومع ذلك فإن مقارنة الانظمة والمذاهب الدينية لا يعني بداية الحوار . . لأن الأفراد في مثل هذه المقارنات لا يلتقون مع بعضهم ، كما هم ، والذي يتم هو مقارنة الأفكار دون أن يتم تبادل بين الأفراد الذين يعيشون من خلال علاقاتهم الشخصية مع الله في عالمنا هذا .

ومن خلال هذه الآفاق والاحتمالات الواضحة والحسية يجب علينا أن نحدد الحوار بين الأديان ، وبكلمة أوضح أن نحدد المستوى لوجود الانسان الذي يعيش قضاياه الحسية ، والذي يفتش عن حلول جذرية ، وديناميكية لها ، ولهذا فإن الحوار يجب أن يحدد موقعه ، لا حسب المشاكل القديمة التي شغلت اذهان اجدادنا ، والتي يجب أن نعرفها لنفهم الآثار التي ترتبت عليها في نفوسنا ، أو في نفوس الآخرين ، بل حسب مشاكلنا الجديدة والحديثة ، بشرط أن نعبر عنها في كيفية طرح المشاكل ، والتي يجب ان تختلف عما كنا نعيشه في قديم الزمان .

الانسان كما هو اليوم . . كما يريد أن يكون . . هذا هو موضوع وهدف كل حوار .

ب ـ العيش مع الآخرين :

إن الحضور الكامل مع الناس يتطلب قبل كل شيء إرادة العيش مع الآخرين وأن نشعر ، نفسياً ، باننا من عالمهم ، مع بقاء الانسان بالطبع مخلصا لنفسه ولايمانه وعقيدته . على أن يحقق كل

منا ، حسب مقدرته وأهليته ، هذا النوع من الاندماج في عالم الآخرين ، كمعرفة لغاتهم ، وتفهم ثقافاتهم . . ماضيهم وحاضرهم ، والشروط الحالية لحياتهم ، وآمال الجميع بمستقبل أفضل . . وهذا الموقف أساسي ، كما أنه يجب أن نعترف ، وبكل شجاعة وصدق ، أن المسلمين لم يلاقوا من العالم المسيحي إلا القليل من التعاطف والود . . وقليلون هم الذين أولوهم العناية الكافية ، بالرغم من أن الرهبان والراهبات اظهروا اهتماما أكبر في مجالات التعليم والمساعدة والرعاية ، ولكن جهودهم بقيت جزئية أمام اتساع الاحتياجات ، كما أن الغربيين ، المستشرقين منهم والعلماء المتخصصين بالاسلاميات ، اظهروا تعاطفاً وتفهماً لكل ما يتعلق بأهداف دراساتهم ، ولكن تفهمهم للانسان وتعاطفهم معه كان أقل . . وهذا ما يأخذه المسلمون عليهم في أيامنا هذه ، مع شيء من اللوم والعتاب .

وحتى اليوم ، وفي أكثر الأحيان ، عرف المسلمون العالم الغربي من خلال الانظمة الاستعمارية ، وباختصار ، يجب أن نعي بكل موضوعية أن المسيحيين لم يحققوا بعد ، كمجموعة ، الشرط الأول والأهم الذي يؤهلهم لأن يكونوا موجودين وحاضرين في عالم المسلمين كما هو ، وعلى حقيقته . . وعلى هذا الأساس فإن الحوار لن يكون ممكنا طالما أن مثل هذا الجهد لم يبذل بعد .

ثانياً ـ بعض المواقف العملية :

أ ـ كيف نستقبل الآخرين :

لقد ساد بين المسلمين والمسيحيين ماض مؤلم سيطر عليه

الاقتتال والعداوة ، فيما عدا بعد اجزاء العالم الاسلامي التي بقيت جغرافياً بعيدة عن الغرب المسيحي ، لدرجة أن المجموعتين انطوتا على نفسيهما وبقي كل منهما محافظا على موقفه ، ومثل هذا الوضع لا يشجع على الحوار إطلاقاً ، ويجب أن نعمل على تجاوزه . وعلينا نحن المسيحيين أن نبدأ الخطوة الأولى دون أن نحاول معرفة ما إذا كان هذا منطقياً في نظر الحكمة الانسانية . فلنتجه إذاً ، بزخم الفضائل الالهية نحو الحياة والمستقبل ، ونعطي هذا التوجه كل ما يتطلبه من وقت ومواظبة .

وللقلب ميزة أساسية نراها ضرورية وحاسمة هي ميزة استقبال الانسان الآخر وتقبله ، ومعرفة استقبال الآخر لا تعني استقبال الضيف الذي يطرق بابنا ، بكل مجاملة ، وهذه بادرة اخلاقية طبيعية ، مقدرة كل التقدير في المجتمعات الاسلامية ، حيث يعتبر حسن الضيافة فضيلة تمارس برقة لا متناهية وهي ذات جذور راسخة في التعاليم الدينية .

وتقبل الانسان الآخر يعني الموافقة على هذا الآخر كما هو ، بثقافته وتاريخه وشعوره وقواعد وتصورات أفكاره ، وهذا ما يقودنا إلى أبعد من ذلك ، والموضوع ليس مسألة ملاءمة وتكيف وتطابق ، بل هو مسألة وضع النفس خارج اطاراتها الداخلية بالنسبة للآخر مع ضرورة بقائنا كما نحن .

ومن الخطأ أن نفكر ونرى في هذا الموقف حالة عاطفية بحتة . . أنه ناتج عن متطلبات لقاء الاشخاص في جدلية الحوار .

وبالفعل ، إذا كان كل حوار صحيح وثابت يجب أن يؤدي إلى

وحدة في الشعور وإلى المشاركة الكاملة مهما كان مستوى الحوار متواضعاً وبسيطاً ، فلا يمكن التوصل إلى هذا الهدف دون أن يقبل الفرقاء بعضهم بعضاً وبشكل متبادل ، مهما كان نوع هذا التبادل ، وبالتالي لا يمكن للحوار أن يكون صادقاً وخالصاً إذا لم يرافقه الترحيب ، وحد ادنى من القبول والود والتعاطف .

يجب ان نقبل المسلم كما يريد أن يكون .

ب ـ قبول المسلم كما يريد ان يكون :

إن عاطفة القلب دون الروح غير كافية إذا لم يكن الذكاء يعمل في قيادتها وتوجيهها ، ولا يمكن استقبال الانسان الآخر إلا إذا كنا نعرفه ، وأولى مهام المسيحي هي التعرف على شريكه المسلم ، لا كما هو بكل بساطة بل كما يريد أن يكون ، وهذه المعرفة يجب أن لا تكون معرفة عالم الاجتماع ، وهي معرفة جافة وغير حارة ، ولكن يجب أن تكون معرفة الصديق للصديق الذي يعمل على أن يكتشف في صديقة كل ما هو حسن وجيد ، وعلى أن يحبه حباً صادقاً .

وقد يظن البعض منا أن هذا يعني انقلابا كاملًا في مواقفهم ، وبالفعل فإن الحوار يتطلب منا نظرة جديدة للآخرين على أن لا تكون نظرة لخصم يجب اخضاعه ، أو لمريد يجب أن نعلمه ، أو نهديه إلى عقيدتنا ، أو لمرشح للهداية يجب أن نستولي عليه ونتصر ، أو لمحاور يجب أن نعلمه كيف يتكلم ، ولكن يجب أن تكون نظرتنا لهذا الرفيق نظرة من نتقاسم معه من خلال أخوة ومساواة أحسن ما في وجودنا المشترك ، يجب أن نعمل من موقف الخدمة والمساعدة ، وكما قال (لويس ماسينيون) المستشرق المعروف :

(لكي نفهم الانسان الآخر يجب أن لا نستولي عليه وندمجه فينا ، بل يجب أن نكون ضيوفه .) .

وللوصول إلى هذا الهدف يجب أن يعرف بعضنا بعضا ، كما اننا نرى هنا ضرورة معرفة ثقافة من نخاطبهم ، مع معرفة وسطهم الاجتماعي الثقافي ، وتاريخهم وافراحهم وآلامهم ، وقد يكون للبعض الآخر منا ميزة التعمق في هذه المعرفة سواء من زاوية الأعمال والدراسات القانونية والفلسفية واللاهوتية الدينية التي صنعت الانسان المسلم وصهرت روحه الدينية ، أو من زاوية دراسة اللغة التي يتحدث بها .. تلك اللغة التي توضح وتظهر طرق وأشكال تفكيره .

وقد يتمكن البعض الآخر من التوصل إلى معرفة عملية وتجريبية ، مبنية على الملاحظة والاختبار للوسط الاجتماعي ، والعلاقات الانسانية الحاضرة . والمهم بالنسبة لنا كما هو مهم بالنسبة للآخرين ، محاولة اكتشاف الانسان كما يعيش وكما يأمل أن يكون . ولا يهمنا هنا الماضي بقدر ما يهمنا هذا الانسان المتجه نحو آفاق المستقبل للحصول على عدالة أكثر ، وحقيقة اكثر ، وحب اكثر .. هذا هو الرجل الذي يجب أن نعرف . ومع هذا الرجل فقط يمكن أن نشيد ونبني حوارا اصيلاً وحقيقياً .

ما هو موقفنا نحن ، كأفراد ، أو مجموعات تجاه المسلمين ؟

هذا سؤال من المفيد طرحه ، إذ أنه من الضروري أن نراجع أسلوبنا في الحياة ، على مستوياتنا ، الأمر الذي يمكننا من اكتشاف كثير من القصور والنقائص .

ومن الواقع الذي نعيشه حالياً يتضح لنا أن مهمتنا الأساسية

ليست إقناع المسلمين بالدخول في حوار معنا ، فالحوار كالصداقة لا يمكن أن يولد بنتيجة الضغط ، أو بالترغيب الاجباري ، علينا إذن وقبل كل شيء أن نعمل تدريجياً على تغيير عقلية وذهنية اخوتنا المسيحيين ، وهذا ما يجب أن نهتم به ، فالمهمة شديدة الاتساع وطويلة .

هذا ولسوف نبحث بالتفصيل فيما بعد طريقة اصلاح عقليتنا ، وذهنيتنا حيال الدين الاسلامي والمسلمين ، ويكفينا الآن أن نؤكد هنا أهمية هذا التغيير والتحول لدى من يريد ويعمل على أن يجد عند محاوره المسلم ، الانسان كما هو ، لا أن يجد أو يلتقي بالصورة البالية القديمة الموروثة عن الماضي ، تلك الصورة التي شوهتها الآراء المسبقة والمتعصبة والوشايات المتحيزة .

جـ - يجب أن نستعد لذلك بعد دراسة جدية

بالرغم من ضرورة وجود الموقف المزدوج لقلب والروح من جهة ، والفكر والعقل من جهة ثانية ، فإن هذا لا يمكن له أن يغذي وحده حوارا مفروض فيه أن يستمر ويتعمق ويتوثق .

إنه يتطلب جهداً إضافياً ، وبشكل خاص من الذين اختاروا العيش بشكل مستمر ، كلا أو بعضاً ، من حياتهم ، في كنف المسلمين وضيافتهم ، فكل حوار يدعو ويفترض الدراسة ، وعلى الجميع أن يتفرغوا ويعملوا لذلك وفق وسائلهم وإمكانياتهم ، حتى ولو ادى ذلك إلى الاكتفاء بمعرفة مبدئية وبسيطة ، فاننا نعتبر ذلك تقدما ضخما ومحسوسا إذا ما جابهته صعوبة المواقف وتعقيد الأوضاع ، ولهذا يجب أن نبدأ بأن ندرس دراسة كافية للغة ، أو اللغات ، وأن نعرف معرفة

كافية الثقافة الاسلامية وقيمها الدينية والجماعية مع معرفة التاريخ ، والمشاكل الحالية التي يعيشها المسلم . وهذا دليل تقدير واحترام للمحاور المسلم ، أن نبذل هذا الجهد المزدوج الذي قد يكون قاسيا ومرهقا بالنسبة للبعض منا ، ذلك أن الاكتفاء ببعض الأفكار الجاهزة ، والتي قد تكون غير صحيحة في معظم الأحيان حيال الاسلام تؤدي إلى طريق مسدود ، أو توقعنا في مآزق نحن بغنى عنها .

إننا لنتألم عندما نرى انسانا مسلما يحمل احسن النوايا لكنه ينطوي على فكرة ما غير صحيحة عن المسيحية ، أو عن الكنيسة ، وهذا الشعور بالتألم من جهل الآخرين له ، يعاني منه المسلم بشكل حاد ، وليس هناك عقبة اكبر في وجه الحوار ، إذ يتحول إلى مجادلة . فعلينا والحالة هذه ، لا أن نصغي إلى الشروح التي يقدمها عن إيمانه ، بل علينا أن ننظر إلى ما كانت عليه الثقافة والحضارة الاسلامية عبر الاجيال ، كما ينظر المسلم اليها ، وان نتعرف ونعي التفسيرات التي يقدمها لنا حول موضوع ايمانه وعقيدته ، وبالطبع ، يجب أن لا نتوقف عند هذا الحد بل يجب أن نبذل الجهد ، كلنا ، مسلمين كنا أو مسيحيين كي نحدد هذه القيم ، ونرفعها إلى مستواها الشمولي ، كما يجب علينا أن نقبل بأن نبذل سوياً ، نفس الجهد حيال الانحرافات التي عانت منها القيم المسيحية عبر تاريخ البشرية . ومن المفيد أن نتساءل ، في هذا المجال لماذا يتأثر المسلم بكل ما من شأنه الأضرار أو تجاهل تراثه التاريخي والثقافي الاسلامي بالرغم من امكانية كونه قليل الاهتمام بقيم عقيدته وإيمانه ، أو بالرغم من امكانية كونه يرفض بعضا منها .

لهذا يجب علينا أن نعرف كيف نستمع ، وكيف نحدد المواقف ،

وهذا لن يكون ممكنا إلا إذا بذلنا الجهد وبتواضع لمعرفة ، وبالتالي دراسة هذه القيم وهذا الماضي الذي يملأ محاورنا زهواً وتقديراً بالرغم من أنه ، أي المخاطب ، لا يعرف هذه القيم مثلنا على المستوى العلمي البحت . يجب الا ننظر إلى هذا الموضوع من زاوية رجل الدين ، الراهب والراهبة ، والمريد العلماني ، هؤلاء الذين يعيشون بالانجيل وسط مجتمع المسلمين بحافز من حبهم للسيد المسيح ، أو لأن السيد المسيح يحبهم ويعطف عليهم . بل يجب أن نفكر في الموضوع ، بالنسبة لكل مسيحي ، مهما كان اتجاهه وتفكيره ، والذي تضعه مهماته الزمنية والمادية في اتصال مستمر مع عالم المسلمين والاسلام ، وفي الواقع أنه بدون معرفة ، مهما كانت ، لا يمكن أن يكون احترام ، وبدون احترام لا يمكن أن يوجد الود والتقارب والانفتاح .

د ـ لنعرف كيف نتعلم من الآخرين :

يجب الا نعتقد إطلاقاً بأنه يكفي لكي ندخل في حوار مع المسلمين ، أن نتحدث لغتهم بطلاقة ، وأن تكون لدينا المعرفة الكافية بالثقافة العربية ، وبالدين الاسلامي ، فمعرفة اللغة والثقافة لدى المحاور ليست إلا وسيلة ، وقد نجد كثيرين في أعلى درجات المعرفة واغناها ، ولكن ليس لديهم أي ادراك لمعنى الحوار . بينما ، نجد الكثيرين الذين ليست بحوزتهم أية أهلية سوى ثقافتهم الأولية ولكنهم يستطيعون أن يدعموا ويواصلوا الحوار الحقيقي مع اصدقائهم المسلمين .

وبالفعل فإن الأساس في اللقاء ، لقاء الآخرين هو أن نعتبر أنهم يستطيعون أن يعلمونا بعض الأشياء ، والتي قد تكون ضرورية ومفيدة

لاثرائنا شخصياً ، وهذا لا يعني مطلقاً أن ليس لدينا ما نقدمه لمحاورنا .

وعندما أقيم علاقات الحوار مع الآخرين ، ففعلي ألا أدعي العطاء بل الأخذ ، ولا أدعي أنني أعلم ، بل أتعلم ، ولا أحاور لاتحدث بل لاستمع وأفهم ، والحقيقة أننا نعاني الكثير نتيجة تضخم عقدة التفوق والتعالي عندنا ، عندما يكون علينا اعتبار الآخرين معلمين لنا . ويجب أن نقبل بأن نناقش ونجادل بشكل نعبر فيه بصورة ملائمة ومطابقة لا من خلال سلوكنا وتصرفنا وحسب ، بل لا من خلال فهمنا للحقيقة بواسطة فكرنا وعقلنا ، فكل الأديان لها ما تقوله لنا ، وتذكرنا به ، وجميعها تدعونا لأن نعيد النظر في تعابيرنا الشفهية والتصورية والمعنوية والانفعالية والعملية ، الناجمة عن إيماننا الخاص ، وفق طرق جديدة للشعور بالوجود ، قد تقودنا إلى اكتشاف ملامح كانت مجهولة منا ولم تكن تعجبنا كثيراً . وعلى هذا الأساس فإن الاسلام قد يساعدنا ، مثلاً ، على تنقية ايماننا وعقيدتنا من مفاهيم تسيطر فيها نظرية التشبيه والتجسيد التي تحجب عنا سر السمو الالهي والقدرة الالهية ، وأن نحصل على احساس بالذات اكثر حرارة ، واحساسا بالوجود المباشر للذات الالهية في حياتنا ، فننعش في نفوسنا معنى العبادة ، أو الاتكال على القدرة الألهية .

وهذه الثروة الروحية تكون ثمرة اللقاء مع الآخرين في جو من المودة والتعاطف ، والصداقة والاحترام ، ولا يمكن لهذا أن يحدث إلا إذا كان التقدير بيننا متبادلاً ، وكنا نؤمن أن المسلم يمكن أن يتقرب من الله عز وجل بواسطة الصلاة ، فالذي يطلب خبزاً هل يعقل أن يمنحه الله حجراً ؟ والخبز الذي يحصل عليه المسلم أو المسيحي طواعية ، قد

منحنا الله أياه لكي نتقاسمه بيننا .

ثالثاً ، الموقف الديني للمسيحي

أن الملاحظات التي أوردناها تنطبق على كل حوار مع المسلمين ، مهما كان موضوع الحوار ، وهذا الحوار قد يتناول المواضيع الدينية والعقائدية والروحية وقد يدعى المحاور المسيحي لتقديم شهادته أو ليعطي وجهات نظره الشخصية . فالانسان المسلم غالباً ما يطيب له تجاوز القضايا الدنيوية الآنية في الحوار ، خصوصاً إذا ما علم أن محاوره هو مسيحي مؤمن ومقتنع .

وعلينا ان نسجل هذه الملاحظة الهامة ، وهي أن المتجاورين إنما يقبلان على الحوار ولكل منهما عقليته وذهنيته المختلفة عن الآخر ، فالمسلم الذي نشأ وتعلم في بيئة (ذات طابع مقدس) ، أو أقل (علمانية) من بيئة المسيحي الغربي . إنما يفترض دائماً وبشكل مسبق ، أن لكل تبادل في الرأي بعدا دينيا أو مرجعاً في عالمه الديني :

بينما المسيحي الغربي الذي اعتاد على التفريق بين الروحي والدنيوي هو اكثر علمانية في ذهنيته ، لذلك فباستطاعته وبسهولة أن يبادر إلى الحوار ، فقط على المستوى الثقافي أو التقني للانسان ، مستبعداً كل إشارة إلى عقيدته .

مما لا شك فيه أن مثل هذه اللقاءات يمكن أن تعطي ثماراً ولكنها تترك المسلم المؤمن متلهفاً يطلب المزيد ، لأنه يشعر بارتباك وحيرة . وإن جزءاً من قضاياه قد أهمل ، ولهذا فإنه يريد أن يدير الحوار مع المسيحي ، لا مع المستشرق ، أو العالم بالشؤون الاسلامية ، أو

الفيلسوف ، أو الخبير فحسب ، وقد يصاب بخيبة أمل إذا لم يكتشف الانسان المؤمن عند محاوره ، ولهذا يجب أن نعي هذه الرغبة الضمنية لمخاطبنا ومحاورنا . هذه الحقيقة ليست مؤكدة دائماً بوضوح ، ولكن التجربة قد اثبتت أنها ملازمة لكل لقاء وحوار مع المسلمين ، حتى مع الذين يدعون أنهم علمانيون ، والذين يتساءلون عن مجتمعهم ، ويهتمون بتقدمه طبقاً لاحدث الأساليب والطرق . لهذا فإنه لا يمكن للمسيحي أن يتجنب البعد الديني للحوار ، ولسوف يدعي ، اليوم أو غداً إلى التحدث كعضو منتسب للكنيسة ، فما هو إذن الأسلوب السلوكي الذي يجب أن يعتنق ؟ أو يطبق ؟

هنالك موقفان يعتمدان على قناعات راسخة ومتينة يظهران بشكل أساسي ، أو لهما أن يكون المسيحي صادقاً وصريحاً في احاديثه ونياته ، وثانياً أن يثبت أنه مسيحي كما تتطلب الكنيسة دون التقليل أو الانتقاص أو التخفيف من حدة ايمانه وعقيدته .

أ ـ أن تسود الصراحة كل موقف . .

هنالك خطر مميت يهدد الحوار ، وهو الافتراض أن الشريك يخفي سريرته ومقاصده في عملية تبشير ، ودعوة دينية معينة . . وإذا كان هذا الخطر مشتركاً في العلاقات بين الكاتوليك وغير الكاتوليك ، وبين المؤمنين وغير المؤمنين ، فإنه لا يمكن أن يكون مشتركاً في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين . . وإذا كان المسلمون يرون في هذا الحوار شكلاً من أشكال الدعوة التبشيرية الجديدة ، وكانوا يفكرون في ذلك فعلاً ، فإن من المستحسن أن يؤجل الحوار ، ولو إلى فترة بسيطة ، لأن هذا الحوار قد يؤدي إلى توريط ديني ، وأن يترك للزمن

اسقاط الأفكار المسبقة والمتعصبة ، مع العمل على تعميق وتوضيح العقليات والأذهان ، ومن غير المفيد بالفعل ، ومن غير المثمر ، أن نجري ونرتبط بلقاءات لا تؤدي في النهاية إلا إلى طرق مسدودة وسوء تفاهم .

وموقف الانتظار هذا يغنينا عن التأكيد بوضوح على مواقفنا ، إذ يجب أن تملي علينا الفكرة الواضحة أو الغاية من كل حوار ، طريقة سلوكنا . وهذا الحوار لا يفرض بذاته عملية تغيير دين الآخر ، ولكن عليه أن يؤدي إلى القبول السلمي والمفرح للمحاور الآخر بتثبيت أفضل للحقيقة والخير في كل مجالات الانسانية .

وبالفعل فإن المطلوب هنا ، هو السير معا في طرق هذا العالم الحديث حيث بدأ الايمان ، مهما كانت نوعيته ، يفقد من أهميته ، والمطلوب أيضاً هو الثقة المتبادلة وأن نفصح عما في قلوبنا ، كل منا للآخر ، وعن كل ما يمكن لهذا الايمان أن يحمله الينا وذلك لكي يعيش هذا الايمان وينمو ويتفتح حتى يبلغ غاياته القصوى . إن احترام الخلافات ووعي الخلافات يجب ان يواكبا معاً الاهتمام بالتراث المشترك وارادة التعاون المشترك كي تنمو التجربة الروحية لكل منا ، وتصل إلى أهدافها المرسومة .

ويفترض بالمسيحي وبالمسلم أن يتمرسا بالايمان فعلاً وأن يكون همهما الأكبر تنقية عقيدتهما وتأجيج حرارتها باتصال احدهما بالآخر . والدليل على أن هذه الصراحة بدون مقاصد خفية ، أو افكار مسبقة ، هو في السعادة التي نشعر بها عندما نتأكد بأن الآخر مؤمن فعلاً ، والسعادة بأن نكتشف عنده تجانساً دينياً أو نوعاً من القرابة الروحية معنا . وهذه السعادة يغذيها الأمل بأن نرى قيم الآخر الدينية تنمو في

نفسه ، لنكتشف من خلالها طرقاً أخرى إلى الأخوة التي تظللها نظرة الله .

هذه هي الفكرة التي أوحت (لامانة شؤون غير المسيحيين) في كانون الأول ١٩٦٧ دعوة المسيحيين والطلب اليهم لأن يقدموا تهانيهم للمسلمين في مناسبة عيد الفطر وانتهاء شهر الصوم . وقد كتبت الامانة في ذلك الحين :

(إن روح التقرب من الله والخضوع لارادته والتي يعبر عنها صوم شهر رمضان هي قيمة دينية حقيقية وصادقة وثابتة ، ولا يمكن للمسيحيين ، بالتالي إلا أن يعبروا عن فرحتهم بأن يتأكدوا من أن هذه القيمة يعبر عنها في أوساط غير أوساطهم ، حتى ولو جاءت عبر تعبير ثقافي يختلف عن التعبير الذي يمارسونه في حياتهم . وعلينا أن نغتبط بأن نرى ملايين البشر من رجال ونساء من الكبار والصغار يقومون بهذا الواجب ، الذي يكلف البعض منهم تضحيات كبرى .

ب ـ تأكيد الذات المسيحية :

أن الحوار يفقد كل معانيه إذا قصر المحاور المسيحي ، لكي يضع نفسه في نفس المستوى مع المسلم ، إذا قصر ايمانه على العموميات وأخفى القواعد الأساسية التي تختلف عن الحقائق والتأكيدات القرآنية .

إن المسيحي الذي يسعى المسلم إلى لقائه ، هو المسيحي الذي يعيش في فيض من الروحانية وبمجمل عقائده الدينية ، لا العالم الانساني الغربي ذي المسحة الثقافية المسيحية فحسب .

وهذه بالفعل هي متطلبات الحقيقة والامانة والصدق ، والتي لا تعني تساوي العقائد ولكنها تعني التعايش في ظل القبول المتبادل لكل الاختلافات في وجهات النظر . وهذا الموقف يحوي مظهرين :

الأول يتعلق بايماننا وعقيدتنا الخاصة بنا . .

والثاني القيم الدينية التي يعيش عليها غير المسيحيين .

المعرفة المتجددة لايماننا

لقد كان اصرارنا ، فيما سبق من صفحات ، على أهمية وضرورة معرفة الفكر الاسلامي الديني ، بأكبر قدر مستطاع من الموضوعية . وفي نفس الوقت وبالمقابل يتوجب على كل مسيحي أن يعي عقيدته المسيحية بأقصى قدر ، لكي يتمكن من ان يعيش بمقتضاها . وهذه حقيقة تلازم كل رغبة بالاتصال بأي مجال ديني غير مسيحي ، ولكنها أكثر إلحاحاً وتأكيداً إذا كان الأمر يتعلق بالاسلام ، وذلك بسبب الايمان المشترك بالوحي الذي نزل على سيدنا إبراهيم (أبونا في الايمان والعقيدة) كما يقول المسيحيون ، وحبيب الله كما يقول المسلمون ، وبسبب التأكيد المشترك بأن الله (واحد أحد ، حي خالق ، يتحدث إلى البشر بواسطة رسل ، ليوجههم إلى طريق الخلاص والنجاة الابديين والسعادة الخالدة) . وهذه التأكيدات ، ولأنها مشتركة تجعل من الضروري تحقيق وبيان كيف يعيشها الناس ، هنا وهناك ، وما هي ميزاتها بالنسبة لهذا أو ذاك فنوجد جوا دينيا نستطيع أن نفهم من خلاله لماذا يرفض الاسلام سر الفداء الذي تعلنه الكنيسة وتعتنق الايمان به .

ولا يفترض هنا بمن هو غير مضطر لذلك ، التعمق في ابحاث ودراسات ومجادلات لاهوتية ، بل يجب أن لا نعمل على صنع ، أو

رسم صورة عن العقيدة المسيحية بشكل يخيل الينا معه وهما بأن المسلم سيقبل به دون عناء .

وليس المهم هنا ، وفي بادىء الأمر تقديم وعرض بيان تفصيلي عن العقيدة المسيحية إلى المسلم . . بل المهم أولاً وقبل كل شيء هو تلك العقيدة المسيحية التي اؤمن بها أنا المحاور المسيحي ، والتي علي أن أعرفها وأعيشها بكل ما فيها من صدق وأصالة وحقيقة وواقع .

ويتوجب على المسيحي ، بالنسبة لذاته ، كما يتوجب عليه حيال محاوره ، أن يعمق أكثر فأكثر وباستمرار قيمه الخاصة المتعلقة به ، تلك القيم التي لا تسمح له الظروف بالتحدث عنها في أكثر الأحيان ، والتي عليه أن يتساءل بموجبها ، لماذا أنا مسيحي ؟ لماذا هو المسيح الذي يوجهني بانجيله إلى الأسرار والألغاز التي أوحى بها الله إليه وكشفها له . !

لماذا هي الكنيسة التي تحمل إلي كلام الحقيقة التي قد لا استوعبها ، وسر الفداء والخلاص هو سر الحياة الالهية في نفس المؤمن . . تلك الأسرار التي اعيشها من خلال عطاء ذاتي كامل للخالق الذي يملك كل مقومات وأقوال الحياة الابدية . ويجب أن لا اعتقد بانني أقرب إلى الخالق من ذلك المسلم الصادق المؤمن المتدين ، فالله هو وحده الذي يقدر ويعرف كل شيء ، وقد يكون هذا المسلم قد حظي برضاء الله وعطفه ، دون أن يعلم .

لقد أمر شعب الله ، لا رغم انف المسلمين ، بل بالاعتماد على حقائق الاعتقاد والعيش ، لأن التقاليد الاسلامية ، مهما كان مصدرها ومهما تكن متطلباتها تنقل اليه ضرورة ذلك ، على أن تكون الروح

مستقيمة وصادقة ، الأمر الذي ينير قلبه وينقيه ، ويرفعه إلى الأعلى ، وكما قال عربي مسيحي ذات يوم :

(إن الحقيقة ليست بحيازتي ، ولكنني بحيازة الحقيقة) .

ذلك المسيحي العربي الذي يتحدث اللغة العربية ، والذي كان يلازمه هاجس الحوار الذي يجب البدء به مع اشقائه المسلمين .

المفهوم المتجدد للأديان كقيم دينية

ليس في نيتنا أن نتطرق إلى هذا الموضوع من زاوية علم اللاهوت المتعلق بخلاص المؤمن ونجاته ، ولكننا سنتطرق اليه من خلال مظهره الملموس والواقعي والتاريخي على مستوى الثقافة الدينية ، فإذا نظرنا إليه من هذه الزاوية ، فإن الاسلام يظهر لنا كدين يحمل وينقل أعلى أنواع القيم وأكثرها احتراماً وتقديراً . . عبادة الله وحمد عظمته وسموه وطاعة ارادته . . ونستعيد هنا مرة أخرى في ذاكرتنا ما جاء في النص الصادر عن المؤتمر الديني حول الديانات غير المسيحية (وقد ورد فيه) :

(إن الكنيسة الكاثوليكية لا ترفض او تنكر ما في الأديان ما هو حقيقي وخير ، انها تنظر وتقدر باحترام صادق إلى أساليب العمل والعيش ، وإلى القواعد والعقائد ، التي قد تختلف في بعض النقاط فيما تقرره وتتمسك به . . غير أن كل ذلك يعطينا قبسا ومن نور الحقيقة يضيء الناس اجمعين .

وهذا الموقف المتميز بالاحترام يجب أن لا يستند إلى الانتهازية ، ولا إلى الصداقة التي يمكن أن تربطنا مع هذا ، أو مع ذاك . . بل يجب

أن تستند على كون الاسلام وسيلة تساعد الناس على التقرب من الذات الالهية ، وهي وسيلة واضحة ، لهذا يجب أن نحترم عقائد الناس الذين يؤمنون أن ليست لديهم طريقة أخرى للتقرب من الله .

والديانات بالنسبة للمسيحي ليست لها قيمة دينية إلا بقدر ما تدفع وتوجه نحو تحقيق الهدف والتدبير الالهي حيال الانسانية .

وهذا الاتجاه نحو الكمال هو الذي يجب أن ندركه ، ونشعر به في الديانة الاسلامية من خلال المؤمنين بها ، إذا أردنا أن نعقد الحوار مع المسلمين في ظل احترام عقيدتهم وبدون مقاصد ، وأفكار مسبقة .

وشهادتنا وملاحظاتنا يجب أن ترتبط بهذا الاتجاه ، وسرورنا العظيم يجب أن نشعر به عندما نراهم يفتشون عن الذات الالهية بكل صدق واخلاص وحقيقة ، وبهذا نجد أنفسنا مع بعضنا ، ونحدد وجودنا سويا في الفعالية والديناميكية الروحية التي تسيطر علينا من خلال وجودنا وتوجهنا نحو الذات الالهية .

ومما لا شك فيه أن هذا الموقف الصريح في الحوار يزيل عدم الفهم وعدم التفاهم ، ذلك أن العلاقات بين المسلمين والمسيحين قد مرت في ظروف مثقلة بالانفعالات والسلبيات ، التي لا يمكن أن تزول أثارها إلا مع الزمن ، ومع نظرة مفعمة بالتعاطف والود المجردين من قبل المسيحين ، ويبقى بالرغم من كل ذلك أن الحوار الديني أو الروحي يرتدي طابع المغامرة ، الأمر الذي يجب أن يحتاط له المسلم والمسيحي على السواء ، وكل منهما في ناحيته ، ولا يمكن ، بحق ، لأي منا ، أن ينسجم ويتعاطى بشكل مثمر ، إلا مع من يؤمن بصراحة تامة ، ويحترم حرية الآخرين الشخصية ، ويغذي في داخله المعنى العميق للحقيقة . . هذا بالاضافة إلى ضرورة وجود رغبة صادقة

بالانصياع إلى ارادة الله وأوامره . وهذه الصراحة يجب أن نشعر بها ونعيشها ، لا حيال الآخرين بل حيال أنفسنا ، وحيال الذات الالهية ، وهذه من أهم الشروط التي يجب أن ننفذها إذا أردنا لقاء المسلم في المجال الروحي .

والحوار هو تقشف صارم وتزهد صادق . . انه ينقي افكارنا ونوايانا . . انه معركة بالدرجة الأولى مع أنفسنا ، وضد جهالتنا ، وضد ارائنا المسبقة والمتعصبة . . والمهم أن نعطي ونبرز شهادة تجدد في علاقاتنا مع الآخرين .

ويجب أن نؤمن أن الثقة تجر الثقة وتقود اليها ، وأن التجديد الذي ندعو إليه سيكون سارياً ومعدياً ، وهذه في اغلب الأحيان ، عملية تتطلب الكثير من الوقت ، وتتطلب استقامة الذكاء ، وسداد العقل ، وكثيراً من المحبة . . هذا بالاضافة إلى كثير من التواضع أيضاً . كما يجب أن يكون الحوار جوابا عما ينتظره المسلمون . . انهم ينتظرون منا حوارا في جو من المحبة والصداقة ، وقد جاء في القرآن الكريم (سورة المائدة) الآية (٨٢) : ﴿ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون﴾ ـ صدق الله العظيم ـ .

كما جاء في القرآن العظيم (سورة الحديد) الآية (٢٧) :

﴿ . . . واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ ـ صدق الله العظيم . وهناك كلمة واحدة تلخص موقف المسيحي في الحوار (المحبة في الحقيقية) . وكما قال القديس (اوغسطينوس) :

(الحقيقة وحدها تنتصر على الخلافات، وانتصار الحقيقة هو المحبة)

الفصل الثاني

التعرف على قيم الاسلام

أن المسيحي بمقدار ما يعيش عقيدته الخاصة بكثافة ، فهو يستطيع ويتوجب عليه ، بكل ما تفرضه العدالة الفكرية والمحبة والرحمة ذات الفضائل الالهية ، أن يبذل الجهد بتعمق لمعرفة العقيدة الاسلامية وقيمها ، والكتب والمؤلفات التي تشرح ذلك ، وقراءة هذه الكتب والمؤلفات ودراستها لا تمنع ولا تحجب الاستماع إلى ما يفكر فيه المسلم الصادق والمطلع ، والاصغاء اليه وهو يتحدث عن هذه الأعمال التي ترغب في دراسة الاسلام ، ويمكن أن نتوقع مفاجآت سارة احياناً ، ومؤلمة حيناً . ولا بد من التكرار بانه ، لكي يتم حوار موثوق ومفتوح ، فعلى كل جانب محاور أن يعرف محاوره كما هو وكما يريد أن يكون ، وقبل أن نطلب مثل هذا الموقف من المحاور المسلم ، أو نلومه ، عن قصد أو عن غير قصد ، فإن على المسيحي أن يتبنى هذا الموقف ، بوعي وبوضوح ، طبقا لمتطلبات ايمانه ، مع صبر وثبات ، بحيث لا يمكن لأي عائق أن يثنيه عن عزمه .

على سبيل المثال نورد بعض القواعد والاتجاهات الأساسية ، وكل منها يحتاج إلى التعمق والتوضيح :

على كل مسيحي يقيم اتصالا بالمسلمين يتوجب عليه تجاه نفسه وتجاههم ، أن يكون شديد الاهتمام بهم حتى ولو لم يكن قد عقد معهم أي حوار حول المواضيع الدينية .

الاسلام دين وأمة . .

الإسلام دين . وهو أيضاً ، بشكل لا يقبل أي تجزئة ، امة ، وثقافة ، وحضارة ، ومن الضروري أن نلاحظ هنا بأن الأمر يتعلق بثقافة وبحضارة استندتا بلا شك ، مثلهما مثل سائر الحضارات والثقافات ، إلى تأثيرات ، واسهامات خارجية واجنبية ، فلا ننسى تأثير اليونان ، والامبراطورية البيزنطية ، وفارس القديمة ، والهند ، وفي يومنا هذا هناك حضارة وثقافة الغرب الحديث . . غير أنه مهما يكن ، فإن الاكتفاء بهذه المحطات التاريخية يعني أن نحكم على أنفسنا أن لا نفهم إطلاقاً حقيقة وعمق الذهنية والعقلية الاسلامية . ومهما كان مدى التأثير والنفوذ الخارجين ، فإن لإنجازات الاسلام الدنيوية مزايا نوعية يجب أن نتعرف عليها ، ونعترف بها ، وهذا يعني وجود شكل من أشكال الوحدة في التنوع والتعدد من الصعب الاحاطة به أو تفسيره ، لكنه يبقى واقعياً وحقيقياً ، ويجب أن لا نعتقد بسرعة واندفاع ، ان شروط؟ الحياة الحديثة يمكنها أن تتغلب وتسود على كل شيء آخر .

وأكبر مثال على ذلك ، هذا الباكستاني الشاب ، المجاز في العلوم الطبيعية والذي عاش سنوات عدة في فرنسا ، والتي كان يحبها . . هذا الباكستاني وجد نفسه في بيته عندما قام بزيارة دراسية للمغرب العربي ، وبالرغم من أنه كان يجهل لغة هذه البلاد ، وبالتالي

يجهل تاريخها بدون شك ، ولم يكن من أصل عربي ، فقد وجد سلوكاً وتصرفاً وطريقة للعيش ، وأسلوباً في التفكير يتجاوب ويتطابق مع كل ما يشعر به هو نفسـه .

والاسلام ، التقليدي ، الكلاسيكي ، عرف ودرس بعمق الظاهرة الاقليمية سواء ما كان يتعلق منها باجناس مختلفة ، أو بمذاهب وفرق دينية .

والتوزيع الحالي للعالم الاسلامي ، الى دول مستقلة مختلفة فيما بينها في بعض الأحيان ، يقوي ولا شك ويشجع الاقليمية ، ولكنه لا يغير طبيعة الأمور المندمجة في وحدة اكبر ، وحدة روحية ، ودنيوية مادية ، والتي توجهها نظرة أو نظرات إلى هذه الامور متشابهة في رؤ يتها للرجل الانسان وللعالم ، وفي رؤ يتها لمصير الانسان ولعلاقاته مع الله .

وإنطلاقاً من هذا المعنى ، فإن الاسلام أمة ﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤ منون بالله﴾ ـ صدق الله العظيم ـ .

ومن خلال هذه الأمة القائمة يجب تحقيق الرغبة في العيش سويا والتعايش الذي ينادي به الاسلام ، وهذا ما شرحه (لويس ماسينيون) .

وهذا لا يعني (الدولة) بالمفهوم الحديث والقانوني للكلمة ، فالأمة تتوافق وتتاطبق كما في صدر الاسلام ، مع امبراطورية واحدة ، أو كما كانت تشكل امبراطوريتين (الأندلس) و(بغداد) ، أو كما هي الحال ، في القرون الأخيرة ، وفي أيامنا هذه تشكل عدداً من السلطنات والملكيات والجمهوريات .

ونحن لا نقصد الحنين إلى دولة « المدينة المقدسة » وهي النموذج المثالي للأمة الاسلامية ، ولا الى الرغبة ـ غير الفعالة ـ لاعادة تشييد وبناء (مدينة) القرون الوسطى المقدسة . ففي الأوقات الغابرة ، اتخذت الأمة الاسلامية ، أشكالاً متعددة سواء ما تعلق منها (بمدينة) الخلفاء الراشدين الأربعة ، أو الحكم العباسي الفردي ، أو حكم القلة ، (أوليغارشيه) العسكرية في زمن الاتراك والمغوليين .

وليس لدينا ما يثبت أن الديمقراطيات الحديثة مهما كانت شعبية أو جماعية تستطيع ايجاد صور جديدة اكثر تدفقاً ، مما رأينا ولكنها أقل واقعية .

وبالفعل فإن مئات الملايين من المسلمين ، في ايامنا هذه يتوزعون في اجناس وثقافات متعددة ومتنوعة ، ولكن علينا أن نعرف ماهية هذا التنوع .

وإذا كان العالم العربي والمستعرب ، يضم الآن اكثر من ثمانين مليونا يحتفظ بزعامة العالم الاسلامي ، فإن هنالك جماعات كثيرة ومتعددة لا تنضوي تحت لواء العروبة. فهنالك مائة وخمسون مليونا من الباكستانيين والهنود المسلمين ، ومائة مليون من الاندونيسيين، وستون مليون مسلم في افريقية السوداء ، والاسلام في إيران يختلف في مضمونه ، وفي اكثر من نقطة عن الايمان والعقيدة التي تعتنقها الأكثرية الساحقة .

ويجب أن لا نقلل من أهمية كون (امة النبي) بوصفها الحالي ، تعود إلى نوع من الاندماج والوحدة بين ما هو روحي وما هو دنيوي ، بمعنى أن هذا الاندماج هو الذي يكون هذه الأمة ، ليس على شكل

تنظيم نهائي للسلطات السياسية ولكن عبر تنظيم بنيان وأطار جماعي للشعائر الدينية وللعلاقات الاجتماعية التي أمر بها القرآن الكريم ، والعقيدة الاسلامية ذاتية ، والايمان الاسلامي شخصي يربط المؤمن شخصياً بهذه الحياة الدنيا وبالآخرة .

ومع ذلك يمكننا أن نقول أيضاً أن الانسان المسلم لا يشعر بيقين الضمير والايمان وبذاتيته الا من خلال انتمائه لهذه الأمة . ومن خلال (امة النبي) هذه، يتمسك بكونه مؤمنا ومسلما ، فيجد فيها القوة والسلام ، وتتفتح كرامته كانسان .

وفي ايامنا هذه نرى كثيراً من المسلمين الشباب الذين بعد انقضاء سن المراهقة ، يأملون في تحطيم مثل هذا الاطار ، ولكن علينا في اغلب الاحيان أن لا نفسر هذه الظاهرة كما لو كانت انكارا وجحودا جماعياً للأمة الاسلامية أو كما لو كانت ثورة على العادات والتقاليد المضافة إليها والرواسب التي تثقلها .

لقد عرف الاسلام دوما حرية فكرية حادة . وربما اصبحت هذه المعارضة اكثر خطورة في زمننا هذا ، زمن الحضارة التقنية الحديثة .

فالانتقاد قد ينصب على الواجبات والمتطلبات التي يمكن أن يشعر أو يظن بانها تشكل انتهاكا للحرية الشخصية ، فلا يهتم إطلاقاً بالتعليمات والأوامر حتى بالاخلاق التقليدية ولو كان مصدر ذلك القرآن الكريم .أو كان يأمر به .

وبالرغم من كل هذا ، كم هم قلة وندرة هؤلاء الذين يتخلون ، أو ينكرون ، إلى الأبد هذه الأمة .

« انا مسلم » . . هذا تأكيد الانتماء الأساسي وفي غاية العمق إلى عالم ، يفتخر به المسلم في أعماق قلبه ، وإلى أمة يشعر المسلم بتضامنه معها مهما كانت الظروف والأوقات .

يا لسحر (الأمة) الأخاذ كما يقول شاب مغربي ؟ يقول ذلك بالرغم من عدم اهتمامه بالواجبات والشعائر الدينية . وبالفعل فإن هذا « السحر الأخاذ » هو الذي يشعر به المهاجر الذي يعيش في أرض غير مسلمة ويستمر بتغذية وتنمية الخفي اليه . وهذا المفهوم الجماعي يميز بدون شك قيم الايمان ، ولكنه بذات الوقت يميز المسلم العلماني كما المسلم المتدين على السواء ،انه السلوك اليومي من خلال ردود الفعل الأكثر عمقاً ونفاذاً في قلبه ، وهذا لا يظهر ويتكشف دائماً للمراقب وللصديق الذي يعيش في أرض اسلامية ، بل لأنه غير مسلم ، فإنه لا يستطيع الاندماج ، ولا يصار إلى قبوله الا نادرا في محيط الصداقة والمحبة الحقيقية للمجموعة ، حتى أنه إذا لم يكن يتحدث مع أصدق المسلمين بلغة غير لغتهم الأصلية ، فاننا نتأكد من أنه سيفوته في اكثر الأحيان المفهوم الضمني للأمة ، الذي يترسخ فيه ، قليلاً او كثيراً كل عمل من أعمال الحياة .

وقبل أن نرى في ذلك مخلفات للماضي الذي ولى ، نرى من الضروري ان نجرب ونتحقق بواسطة الخيال العاطفي المؤثر ما تعنيه جملة هذا (السحر الأخاذ) ، الذي يمكن أن يتوضح ويظهر للعيان ويفهم بشكل اكيد السلوك الشخصي أو الجماعي للمسلمين ، وللشعوب المسلمة .

الاسلام دين أساسه الكتاب
والكتاب يفسر بالحديث والسنة

يجب أن لا ننسى إطلاقاً الأهمية التي تعلقها العقيدة والايمان الاسلامي ، على النص القرآني . فالمسيحية تتركز على شخص السيد المسيح كما يقول لويس ماسينيون بينما يتركز الاسلام على الكتاب ، على القرآن الكريم .

كيف نتحدث عن القرآن ؟

القرآن بالنسبة للمسلم هو كلام الله ، هو وحي من الله ، والمسلم المؤمن يحيطه بالإجلال الصادق والحقيقي ، وكل مسلم ، حتى ولو كان غير ممارس أو بعيداً عن ممارسة الشعائر وحتى لو كان يظهر بعضا من الشك في ايمانه ، فإنه يحمل للقرآن ويحفظ له كل الاحترام والتبجيل .

وباستثناء بعض الحالات النادرة ، فإن مناقشة التعاليم والمبادىء القرآنية ، الواردة في القرآن الكريم ، ومحاولة تطبيق مبادىء انتقاء النصوص عليها أو محاولة دراسة المصادر والأصول التاريخية لها يعني ذلك ، قطع كل طريق أمام الحوار للعودة الى المجادلة والنقاش العقيمين .

ويشعر المسلم ، كل مسلم بكثير من السخط والغضب عندما يسمع تأكيداً من أحد الغربيين ، وهذا ما يحدث احيانا ، عندما يسمع أن محمداً قال في القرآن كذا . . . وكذا .

ولا ننسى الخلافات الحادة التي حدثت بين المذاهب الاسلامية

عما إذا كان القرآن مخلوقاً (المذاهب التقليدية) أو غير مخلوق (مذهب المعتزلة) موحي به أو غير موحي به . والمسلم يؤمن بأن الله هو الذي أوحى بالقرآن ، وان النبـي محمد عليه السلام لم يؤلف ولم يكتب هذا الكتاب الكريم .

وتؤكد اللغة العربية (الغنية) أن القرآن (نزل) على الرسول وهو كما يقول (ماسينيون) : (املاء خارق وفوق الطبيعة) .

وإذا ما ذكر المسلم آية قرآنية فإنه يبدؤها بصيغة : (قال تعالى عزّ وجل) علما بأنه لا ينتظر من محاوره المسيحي أن يقول نفس الشي . وننصح كل مسيحي بأن يقول مثلاً : (قال القرآن الكريم) وورد في (القرآن الكريم) أو أية جملة أو تعبير مماثل أو ما شابه .

كيف نقرأ القرآن ؟

من الضروري أن نحذر من قراءة مسيحية للقرآن الكريم حتى ولو كان يدفعه ويشجعه اهتمام صادق بالتقارب واللقاء ، لأن المسلم يحتفظ لنفسه بحق تفسير النص ، وقد يغتبط المسيحي عندما يتلمس في التفسير تطلعات ونظرات جديدة ، كما لو كان الأمر يتعلق بتصميم مشروع للفنون الأدبية ، التي يقترحها بعض المؤلفين . وليس عليه أن يبادر فوراً إلى اعطاء المسلم دروساً في التفسير القرآني ، وبالمقابل عليه أن يفهم وبكل العمق ، لماذا يؤثر الكتاب المنزل ، هذا التأثير البالغ في قلب المؤمن وعقله ، ولماذا يعترف المسلم غير الممارس للشعائر ودوما لهذا الكتاب بالسحر والجمال اللذين لا شبيه لهما ، وهذه قصة طويلة . . قصة أولى العلوم الدينية في الاسلام ، وهي علم القراءات .

وقوة النص المدهشة ، تفوت بالفعل وفي اكثر الاحيان ، كل من لا يستطيع تذوق هذا الكتاب الكريم باللغة العربية ، وعلينا أن نعتقد أن ترجمته ـ وهنالك ترجمات ممتازة ـ لا يمكن أن تعبر عن البيان والفصاحة البالغتين فيه مع الايقاع والوزن الملهمين .

وبالنسبة للمسيحي فإن قراءة القرآن الكريم يمكن أن تتم على مراحل ، ومستويات متعددة ، إذ يجب أن يعي الفكرة التي أبلغها محمد صلوات الله عليه ، بعد أن أوحى الله بها إليه والتي عليه أن يبلغها . وهذه الفكرة تسند مفاهيم مدى ثقافي محدد ، وخاصة تلك المرتبطة بالمعرفة التي تعكسها الحقائق المسيحية .

وقد يكون النص القرآني أكثر ثراء وغنى بسبب الاصداء التاريخية التي تتعلق ببعض الكلمات ، مثلاً : (كلمة الله) .

وقد يكون أكثر إنغلاقاً بنتيجة رفض قاطع لبعض المعطيات لديه مثلاً :

(إن عيسى هو عبد الله) .

وما زلنا نعتقد بالمفهوم المحدد بالسنّة والأفكار الاسلامية التي تؤمن بالرسالة الأساسية المركزية للقرآن الكريم ، كالايمان ، والتوحيد الدقيق والصارم بآله قادر وعظيم ودائم ، الأمر الذي يفسر تبعا لهذه الرسالة الاساسية ، الكلمات والمقاطع التي يمكن أن تشكل معضلة التفسير . هناك تفسيرات وتأويلات جديدة محتملة ، ولكن على المسلمين انفسهم أن يهيئوا لها ، ويعدوها للحوار مع المسيحيين ، إذا ما دعونا اليه . ومهما يكن فإن موقف المسيحي يجب أن يكون محصوراً في طلب معنى النص ، وأن يقبل بصدق وامانة ، التفسير

الذي يقدمه المحاور المسلم ، حتى لو كانت لديه تفسيرات أخرى تظهر له ممكنة ، وربما اكثر احتمالا .

الحديث

وبعد قراءة القرآن وإعادة قراءته وحفظه عن ظهر قلب ، وبعد التأمل به وبما احتواه ، وبعد ترتيله ، فإن الذهن والفكر الاسلامي يزداد ثراؤه وقوته بالسنة ، أي الحديث ، أو العادات التي اتبعها الرسول الكريم .

وهذه روايات لأحاديث قصيرة تتعلق بايمان من كان يعيش مع الرسول الكريم وبقربه ، ولاقوال وأعمال ، وللامتناع عن القيام ببعض الأعمال ، والمنسوبة إلى محمد صلوات الله عليه ، وكلها تشمل مجموعة (الحديث) ، وقد بدىء بجمعها في القرن الثالث للهجرة ، وفي أيامنا هذه وما زال الكثيرون أفراداً عاديين ومثقفين يرددونها طواعية ، وفي كل الأزمان ، وقد وردت انتقادات شديدة لتسلسل (الرواة) الناقلين للأحاديث ، واخذ البعض يتساءل عن صحة ومضمون بعض هذه النصوص التي تناقلها الرواة . وهنا أيضاً لا يطلب من المسيحي ، وهو يتحدث إلى المسلمين ، أن يناقش صحة هذا الحديث أو ذاك ، إلا إذا دعي إلى ذلك بكل وضوح . وإذا ناقش ، فلن يستمع إليه أحد ، وعليه إذن أن يفسح لنفسه المجال والوقت لكي يحظى ويحوز بمعرفة العادات والتقاليد الرئيسية ، والأحاديث الأساسية وهي التي تؤمن له الوصول إلى ما يمكن أن يسمى بذاكرة وحافظة الأمة الإسلامية وأفكارها .

الإسلام هو تأكيد الايمان والشهادة

إن الإيمان لدى المسلم هو التأكيد عليه والشهادة بقوله : ﴿اشهد أن لا آله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله﴾ ، وهذه الشهادة تمتزج وتندمج بالاسلام ، فهي التي تجعل من المسلم مؤمنا ، والشهادة والقبول والاتكال والاستسلام الروحي قبل كل شيء . . الشهادة باللسان والنطق ، إلا في حالة الاستحالة المطلقة ، شهادة الاعضاء والأفراد من خلال القيام بالواجبات المقررة . وقد ناقشت المذاهب ، وما زالت تناقش القيم المتلازمة ، ومدى ضرورة هذه الأنواع الثلاثة للشهادة .

ويمكننا أن نقول باختصار أن الفكرة السائدة ترى في القيام بالواجبات ، وخاصة اداء الصلاة ، إتماماً للواجب وليس جزءاً ملازماً للايمان أو مكملاً له .

والإيمان ، هو قبل كل شيء ، الانتساب الروحي ، والانتماء الفكري للعقل والادراك ، والايمان هو نقطة التقاء للمعرفة الدينية . وهذا الاندماج هو الذي يجعل الانسان (مؤمنا) أمام الحق والله ، وشهادة النطق واللسان هي التي تجعل الانسان (مؤمنا) في عيون الناس ، والشهادة بدون الاندماج العقلي والصادق ، تشكل حينئذ إثما وخطيئة ، وتعتبر عندها نفاقا وخداعاً وهذا ما يسبب غضب الله وعقابه بدون عفو أو مغفرة . . وإلى الأبد .

والإيمان (الشهادة) هو المنقذ المباشر ، وكما جاء في الحديث (اولئك الذين يمتلىء قلبهم بذرات من الايمان فانهم سيتركون جهنم ولن تكون عقابا لهم) . والمؤمن الذي ارتكب ذنوباً خطيرة ، ولم

يتب ، يمكن عقابه بالنار ، وقد يتمتع إذا ما تاب بـالثواب والمغفـرة والجنـة . والنـتيجـة أن الاسـلام والايمـان يتميـزان حسب المفهـوم ويتوحدان في الموضوع ، وهذا ما قاله بعض المؤلفين .

ومن ناحية علم أصول الكلمات واشتقاقها . . فإن كلمة الإسلام هو أن يعطي الانسان ذاته لله وهذا ما يتطلب موقفاً روحياً وداخلياً يعيشه المسلم ، وهو هذا الدين . ومعنى الكلمة بشكل أساسي هو التمسك واحترام التعليمات والأوامر والموجبات التي يأمر بها القانون الالهي . وقد نشدد على هذا المظهر أو ذاك ، إلا أنه أحياناً يتمم أحدهما الآخر ، وأحياناً يتطابقان ، كما يفهم أيضاً الاسلام كمظهر من مظاهر التجسيد الخارجي والتعبير عن الايمان ، ومظهر من مظاهر بيانه وجلائه .

ومهما يكن فإن الاسلام بدون الايمان لا يمكن أن يؤدي إلى النجاة والخلاص ، والذي ينقذ هو الشهادة بوحدانية الله والايمان الذي يؤمن ويحقق الخلاص هو رحمة من الخالق ، وهذه ليست « منحة » لتمكين التعايش مع الله ، وهي لا تصل إلى الذات الالهية لانها عطاء آلهي هدفه كلام الله الموحي به في القرآن .

ومع ذلك ، يمكننا أن نضيف ، وهذا ما سنراه فيما بعد ، أنه منذ ظهور مذهب الاصلاحيين في القرن التاسع عشر ، وبتأثير ونفوذ المجتمعات الحديثة ؛ فإن مفهوم الايمان بدون الأعمال المترتبة عليه ، أي الموجبات ، هذا المفهوم الذي لا يكوّن ارتباطا والتزاما معنويا ، اخلاقياً ، مدنيا وزمنيا ، هذا المفهوم بدأت تتخلى عنه أوساط عريضة مسلمة ، وبشكل مواز ، ويمكن القبول وبسهولة ، وفي هذه الأوساط

نفسها . . . إن كل انسان مستقيم يعيش من خلال ضميره ووجدانه وبايمان غير الايمان الاسلامي ، فإنه يكون مؤمنا حقا .

الاسلام والمقومات والأعمال

تعليمات وأوامر القانون الالهي هي المقومات والشعائر الدينية أولاً ، وقواعد العمل والتحرك الانساني ثانياً . والمراقب الاجنبي يصر ويركز تلقائياً على الأولى منها . وهي بالفعل العلامة المميزة والشعار المرئي للأمة الاسلامية ، ويسمونها ، أعمدة ، أو اركان الاسلام ، وهي معروفة جيداً للجميع ، أولها : الشهادة واعلانها التي تستمر وتمتد ، ويجب أن تستمر وتمتد من خلال الصلوات الخمس وهي الطقوس الدينية اليومية .

وثانيها : الزكاة القانونية ، وثالثها صيام شهر رمضان ، ورابعها الحج إلى الأرض المقدسة لو لمرة واحدة في عمر الانسان . ويضاف إلى هذه الاركان تعاليم وأوامر تتعلق بالغذاء والزواج والحياة العائلية ، والعلاقات الاجتماعية ، وزيارة المقابر ، وتشييع الجنازات .

وما قلناه الآن عن الايمان (الشهادة) وعلاقته بالحياة الدائمة والابدية يبين أن عدم ممارسة هذه الأركان لا يؤثر مباشرة على الخلاص والنجاة والمغفرة ، ولكن لا شك أن التخلي عن الممارسة ، بدون سبب معقول ، يشكل ذنباً ، وذنباً خطيراً ، إذا كان المذنب يرتكبها بتصميم أو فتور أو لامبالاة . . أو يتخاذل ويتكاسل ، ولكنه إذا لم ينكر ايمانه بالله ، ولا ولاءه وانتماءه لنبي الاسلام ، فإنه يستمر في

الانتساب ، بالنسبة لهذه الدنيا وبالنسبة للآخرة ، إلى أمة المؤمنين ، والذين سيصبحون في النهاية ، ضيوف الجنة .

ويجب أن نحترس من النظر إلى هذا التخلي عن تأدية الشعائر الدينية كما لو كان انكارا وكفرا وجحوداً بالاسلام .

فمثلاً نسمع قول بعض المسلمين : (أنا لست مسلماً ممارساً جداً ولكنني مسلم) .

فالايمان الراسخ والمتركز في داخل الانسان يدفعه إلى التقيد بالتعليم ، والأوامر التي تكمن قيمتها في النية ، وإهمال هذه التعاليم والأوامر لا يشكل عملاً مضاداً للايمان بالرغم من أنه على المؤمن أن يتوب ، وينتظر الجزاء نتيجة اهماله واغفاله التنفيذ العملي والتطبيق الفعلي لأصول العبادة ، وهو الذي يعتبر مسؤولاً مباشرة عن كل هذا ويتحمل المسؤولية .

ويرى المسلم المخلص أن أعمال الخير هي أهم من التقيد ومراعاة الأركان الأربعة ، قد يكون هذا رد فعل عفوي من قبل ضمير الانسان ، ولكنه يدخل في إطار السنة .

وكثير من المؤلفين لا يدرجون في موضوع (تكامل الايمان) الأعمال والشعائر الدينية فحسب بل ذلك الوضع الداخلي ، الذي يفرض الاخلاص والاحسان . وتعبير (الاخلاص) يترجم بنقاوة النية ، التفاني لله والأمة . هذه هي الشعائر الخالصة والصافية المطلوبة منا حيال الذات الالهية ، ويفهم من الاحسان هو الرغبة بالعمل كما لو كنا دائماً في حضرة الله ، وهو الذي فرض أعمال الخير ، وهذا ما نراه مؤكداً في كثير من الآيات القرآنية ، مساعدة القريب ، ورعاية اليتيم

وابن السبيل ، والمساكين ، واحترام الكلمة والعهد ، واستقبال الضيوف ، والمسافرين ، واطلاق سراح الاسرى .

وفي استفتاء اجري حديثاً اثبت كثير من المسلمين الذين سئلوا ، أن مثل هذه الأعمال تشكل التكامل اللازم والضروري للايمان ، فالمؤمنون يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتضيف آية من (سورة البقرة) الايمان باليوم الأخر (صدق الله العظيم) .

ويوضح حديث شريف آخر : الايمان هو أن تؤمن بالله ، وبملائكته ، والآخرة ، ورسله والبعث (القيامة) .

وفي حديث شريف آخر : أن تؤمن بالله وأوامره والخير والشر ، الحلو والمر .

وجاء في حديث آخر : قال النبي صلوات الله عليه : الانسان المؤمن هو الذي يتمسك بأربعة قواعد أساسية :

أن يشهد بأن الله واحد أحد وأن لا إله غيره .
انني رسول الله ارسلت لتبليغ الحقيقة ،
وأن يؤمن بالقيامة والبعث بعد الموت . .

وأن يؤمن بأوامر الله حول الخير والشرّ، والسّراء والضّراء (الحلو والمر) .

هذا هو المحتوى الأساسي للايمان الاسلامي ، ويمكن اضافة بعض الايضاحات :

أ ـ الايمان بالله

الايمان بالله وبوحدانيته أهم وأشمل هذه القواعد ، لا شريك

له ، ولا وسيط الهي أو بشري بين الله والانسان . والله يتجلى لعباده من البشر بواسطة الانسجام والتطابق الكاملين للخليقة . والقرآن يأمر بالتأمل والتفكير في مؤشرات الكون التي تثبت وجود الخالق ، والذي يظهر لنا بكل اسمائه وصفاته الحسنى ، فالتأمل والتفكير هما الأساس في التقوى لدى المسلمين ، وبعض هذه الأسماء توضح عدم امكانية تشبيهه بالمخلوق ، فهو العظمة التي لا تدرك ، القوة الكلية والعالم بكل شيء . وهناك صفات وأسماء أخرى تشير إلى أن الله هو الرحمن الرحيم والغافر ، والرازق ، والمحب . . انه الخالق ، الحي ، الدائم ، الحق ، العدل والنور والعدالة ، « وانه سميع قريب من الانسان الذي خلق » و« اقرب اليه من حبل الوريد » ـ صدق الله العظيم ـ ومرة واحدة نرى في القرآن كلمة الجبار ، وأربعة مرات « القهار » كما يظهر حيال الكفار ، ونرى تعابير مشابهة لهذه في (العهد القديم) وخاصة في (زبور) المزامير . والله لا يدرك من حيث طبيعته الالهية ، وقريب من المؤمن برحمته ، وعلى المؤمن أن يتوكل على الله ، لأن الله لا يسأل عما يفعل . والاتكال يجب أن ترافقه الثقة والاطمئنان والسلام . ويبدو أنه من الصعب أن نثبت مع بعض الغربيين أن الاله ليس فعلاً هو الله . . وقد اعترفت ، بحق ، النصوص التي صدرت عن الكنيسة في المؤتمر الكنسي ، بهذه الحقيقة . ولا يمكن أن نلخص الايمان الاسلامي بالله باحسن مما جاء في هذه النصوص : « المسلمون الذين يؤمنون بعقيدة ابراهيم ، يعبدون معنا الها واحدا ، رحيماً ، هو الذي يحكم بين الناس في الآخرة » .

وقد جاء في نص آخر :

« المسلمون الذين يعبدون الله الواحد ، الحي ، الدائم ،

الرحيم ، والقادر على كل شيء الخالق للسموات والأرض ، والذي خاطب الناس وأوحى لهم » ولهذا فإننا نفهم اعتراض المسلمين واحتجاجهم على استمرار الغربيين في قولهم (الآله ALLAH) بدلاً من (الله Dieu) ، ويجب علينا أن لا نأخذ بالحجة التي تقول بأن (الاله Allah) هو الاسم الاساسي لأله المسلمين ،ونحصر هذا الاسم المقدس بآله التوراة ، فكلمة (Allah) هي الاله ، أي (Dieu) ، الله .

إن كلمة (Allah) تدل على (الله Dieu) في طبيعته الآهية ووحدانيته لا في اسرار هذه الطبيعة الخاصة التي لا تكشف ، وغير ممكنة الكشف في نظر المسلمين ، وقد يشكل هذا أعمق خلاف بين الاسلام والمسيحية ، فكلمة الله هي الكلمة الوحيدة التي يستعملها المسيحيون الناطقون باللغة العربية للدلالة على (الله Dieu) ، وإذا ما تحدثنا مع مسلم باحدى اللغات الأوروبية ، يستحسن عدم استعمال كلمة (Allah) بل (الله Dieu) .

ب ـ الأوامر الالهية :

يؤكد القرآن ويثبت في آن واحد وبشكل متواز قدرة الله المطلقة ، وحرية الانسان المسؤول عن أعماله ، وقد جاء في سورة الصافات :

﴿والله خلقكم . . وما تعملون﴾ .

كما جاء في سورة الكهف : ﴿ومن الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ . وتتأرجح علوم الدين الاسلامي بين

هذين القطبين ، فتارة تؤكد أن الله يفعل كل شيء ، والانسان ليس إلا مركزا للعمل الالهي ، وتبقى المشكلة في المحافظة على العدالة الالهية في مكافاة الأعمال والأفعال .. وتارة ، تجعل من الانسان مسؤولاً عن أعماله ، وكما يقول البعض (خالقاً) لاعماله ، والله لا يكافيء الا الفرد المسؤول ، وبالتالي الحر ، والصعوبة تكمن في محاولة عدم المس بالقدرة الالهية المطلقة ، وفي الوقت الحاضر فإن الاتجاه والاتجاه الغالب حالياً الاتجاه الاخير ، وليس من المستبعد أن أي حوار بين المسلمين والمسيحيين قد يساعد في التغلب على هذا التناقض مع المثابرة على احترام الاسرار الأساسية ، كما أنه يجب أن لا ننسى أن الايمان بقدرة الله في كل حياتنا والاتكال على ارادته الخفية تبقى لدى كل انسان من اسمى القيم الدينية . والبيان الذي صدر عن الديانات غير المسيحية يمتدح المسلمين الذين يعملون في الصميم على طاعة أوامر الله ، كما فعل إبراهيم عليه السلام ، ذلك أن العقيدة الاسلامية ترجع في أكثر الاحيان اليه .

جـ ـ رسالة الانبياء

تستند الدعوة القرآنية ، منذ قيامها ، على الانبياء (التوراتيين) الوارد ذكرهم في التوراة وتعمل على تقديم نفس رسالتهم إلى المشركين ، وسرد قصص الانبياء في القرآن له أهداف ثلاثة :

ـ اثبات استمرارية الرسالة القرآنية مع انتقاليد التوراتية .

ـ انذار أهل مكة بالمصير الذي ينتظرهم إذا رفضوا الرسول الذي أرسل اليهم ، وهو مصير الشعوب القديمة التي هلكت لرفضها رسلها .

ـ واخيراً يقدم للمؤمنين نماذج كاملة عن شخصيات دينية .

وهكذا فإن مجموعة من صور شخصيات توراتية تأخذ مكانها في القرآن الكريم ، ولكنهم يأخذون شكل أب ، أو رب عائلة ، أكثر من كونهم انبياء كما يسميهم القرآن الكريم . وبالفعل فإن من بين من نسميهم بالانبياء الوارد ذكرهم في التوراة ، كبارا ، أم صغارا ، فقد ورد ذكر يونس وحده في القرآن ، يضاف إلى هؤلاء ثلاثة رسل غير توراتيين ، وردوا من التقاليد العربية ولم يلعبوا سوى أصغر الأدوار .

إن رسالة هؤلاء الانبياء واحدة ، وليس فيها أي اختلاف ، انها رسالة القرآن الكريم نفسه : تذكير البشر بالوحدانية ، والتوحيد ، ودعوتهم لعبادة الله واحد ، وإطاعة أوامره ، واتباع رسوله ، ولهذا فإنه لا يوجد أي تدرج ، أو تجديد ، أو تقدم في محتويات رسالة الانبياء لأن الكتاب هو واحد دائم وثابت ، لا يتغير بتغير الازمان ، وما أوحي به للانبياء هو واحد ولا يمكن الاّ أن يكون متشابها ، الأمر الذي يتأكد مرة بعد اخرى .

وإذا كانت الصياغة والتعبير لهذا الكتاب قد اختلفت عما هو وارد في القرآن ، فإن التغيير حصل من قبل من أودع وأؤتمن عليه . وهذا ما حدث لتوراة اليهود ، ولانجيل المسيحيين ، وعلينا أن نضيف من جهة اخرى ، أن الانجيل الذي تحدث عنه القرآن الكريم يجب أن يفهم بكونه الانجيل الذي نزل على عيسى ، بينما الاناجيل الأربعة المسيحية ليست سوى سرد لقصة حياة السيد المسيح .

ومهما يكن ، هناك تدرج وتقدم في تاريخ الانسانية الديني ، فقد اتى كل شيء بقانون ديني يلغي القوانين السابقة ، وينهض بمثلها في آن واحد .

ومنطقياً إذاً أن يرى المسلمون أن القرآن وهو آخر الكتب السماوية ، هو اكثر الكتب المقدسة كمالا ، فقد الغى كل ما سبقه وحمل ونهض بما جاء قبله مع تلخيصه .

فالقرآن هو في آخر المطاف ، المعيار الوحيد للحقيقة الموحى بها . ومحمد عليه السلام هو خاتم الانبياء ، والاسلام هو الدين الوحيد الكامل الذي يشمل كل البشر .

وقد رأينا حديثا أحد كبار علماء المسلمين الشيخ محمد عبده يتبع بشكل خاص تقليداً جديداً ، أنه يجب أن يتحدث عن ثلاثة عهود وعصور للانسانية :

طفولتها مع موسى والتوراة ، الذي يعطي الأوامر والتعليمات كما يعطيها معلم المدرسة . . . وشبابها مع عيسى والانجيل الذي يتحدث إلى القلب ، ويخاطب الشعور والعاطفة ، واخيراً عصر الرشد مع محمد والقرآن ، عصر الاسلام ، الدين المطابق للعقل والمنطق والمسجل في كل انسان ، ذلك الانسان الذي يولد بالطبع مسلماً .

د ـ الانبياء الأربعة المرسلون

في المجموعة التي تضم من عشرين إلى خمسة وعشرين شخصية توراتية ، والتي يتحدث عنها القرآن الكريم . . ثلاثة منهم احيطوا باهتمام خاص في تاريخ الانسانية الديني قبل ظهور خاتم الانبياء والمرسلين : محمد عليه السلام وهو الأهم . .

إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وهم الوحيدون مع

محمد (ﷺ) الذين جاؤوا وبوحي من الله ، للبشرية ، بدين جديد ، وقانون ديني جديد .

وإبراهيم هو أساس سلف الأنبياء وذريتهم ، والتي تنتهي بمحمد ، والتي ابلغها الرسول الكريم نفسه .

وقبل كل شيء فإن إبراهيم عليه السلام هو المبشر بالوحدانية ، والمحطم للاصنام التي كان شعبه يعبدها ، وهو الذي تقبل رسل الاله الذين اعلنوا هلاك المدن الأثمة والمذنبة ، وولادة اسحق بمعجزة عجيبة . وإبراهيم هو الذي استسلم في إيمان شديد لأمر من الله من أجل التضحية بابنه . ويحتفل المسلمون كل سنة بذكرى هذه التضحية اثناء تأديتهم فريضة الحج في مكة المكرمة ، العيد الكبير أو (عيد الأضحى) .

وفي السور المدنية ، وبعد قطع العلاقات مع اليهود والمسيحين ، يقوم ابراهيم ، كمشيد للكعبة في مكة المكرمة ، والتي أعاد بناءها مع ابنه اسماعيل ، وقد جاء في سورة آل عمران (الآية ٦٧) ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ ، إذن لم يكن إبراهيم يهودياً ولا نصرانيا ، بدليل أنه عاش عهدا سابقا لموسى ، مؤسس الديانة اليهودية ، وعيسى مؤسس الديانة المسيحية .

إن النظرة إلى صورة إبراهيم ودوره ، تختلف كل الاختلاف في الاسلام وفي المسيحية ، ويبقى أن الاستناد إلى إله إبراهيم ، وخاصة إلى موقفه العقائدي وإيمانه الكامل بالخضوع إلى الارادة الالهية هي قيم مشتركة بين الديانتين بالرغم من اختلاف الرأي حول هذه الارادة

ومفهومها . أما موسى فإن صورته في القرآن تبقى كلاسيكية ، تقليدية ، وقريبة من صورة موسى في التوراة ، فهو الذي يجابه فرعون مصر مع اخيه هارون ، ويقضي على سلطان السحرة في مصر ، ويحصل من فرعون على اذن بخروج الشعب اليهودي من مصر ، وهو أيضاً الذي خاطبه الله في الطور ، وفي سيناء ، ومنحه التوراة .

أما عن عيسى فإنه يدخل وأمه في هذه النخبة من سلالة الانبياء ، ولكن بميزات لم يحصل عليها غيرهما ، ومريم العذراء التي نذرت نفسها لله منذ ولادتها ، والطاهرة من كل ذنب ، والمعصومة عن كل إثم ، إنها العذراء التي تقبلت بكل إيمان روح الله ، وكلمته التي ابلغت بموجبها المعجزة ، وآمنت بها .

وتجاه دسائس اليهود ووشاياتهم فإن القرآن ، والدين الاسلامي كله يؤمن بهذه المعجزة الالهية التي اصبحت بنتيجتها أما للسيد المسيح .

وقد جاء في سورة النساء (الآية ١٥٦) - ﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما﴾ ، أي بكفر اليهود ودسائسهم ، كما جاء في سورة التحريم(الآية ١٢) ﴿ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتب وكانت من القانتين﴾ (صدق الله العظيم) . وقد شدد المؤتمر الكنسي على هذه الظاهرة التي جذبت المسلمين بشكل خاص وأثرت عليهم ونفذت إلى أعماقهم .

وعيسى ، الذي ولد بمعجزة ، وبدون أب من البشر ، هو حصيلة كلمة من الله ونتيجة لروح الله وقدرته ، أرسل نبياً لابناء

اسرائيل ليذكرهم ويبشرهم بوحدانية الله البحتة ، وان على كل انسان بدأ بعيسى عليه السلام نفسه ، أن يكون عبدا لله الواحد الأحد ، وعيسى نفسه قام وحقق معجزات مدهشة ، فقد ابرأ الأعمى والابرص ، واحيا الموتى ، ولكن اليهود قرروا اغتياله وصلبه ، فرفعه الله اليه ولسوف يبعث حيا في الآخرة ، كاشارة تبشر مسبقا بالقيامة .
وهناك بعض الآراء والتقاليد الروحانية والصوفية تجعل من عيسى نموذجاً للقدسية والطهارة ، تحيط به كلمة الله وروحه اللتان أدتا إلى خلقه .

والقرآن يدعو عيسى بتعبير (كلمته) كلمة الله (وروح منه) وهذا ما يزيده قدسية ، وكل هذه المصطلحات توحي للمسيحي بعقائد وأفكار مسيحية خالصة ، وقد يكون هذا الواقع صدى لهذه العقائد والأفكار .

لكن القرآن لا يتراجع ، فهو صريح وبشدة ، فقد جاء في سورة الزخرف (الآية ٥٩) ﴿ان هو الا عبد انعمنا عليه﴾ كما جاء في سورة المائدة (الآية ١٧) و(١٦) ﴿لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم) .

﴿ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ .

من هنا يجب أن نتحاشى العودة إلى المساجلات والمناقشات الغابرة حول معنى هذه الألفاظ ويجب أن نترك للمسلمين حرية التساؤ ل بانفسهم ، حول هذه القضايا المطروحة مع قبول الاجوبة

التي يقدمونها لنا . ويجب أن نستذكر بشكل خاص أن سر شخصية السيد المسيح هو سر من أسرار الايمان والعقيدة التي كشفت عنها تجربة الايمان الذي نعيش ، دون الركون إلى المناقشات اللاهوتية الدينية .

أما عن محمد عليه السلام ، فإن عظمته الفريدة ، والتي لا تضاهى هي كونه إنساناً كغيره من البشر ، فقد ورد في سورة فصلت ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلي﴾ .

لقد اختاره الله لكي يتبلغ ويبلغ (الوحي) الأخير والنهائي ، الموجه إلى (البشر كافة) ، هذا هو إذن أعمق الاسباب واكثرها أهمية لطقوس العبادة التي تكرس وتعد للتقوى التي يعتنقها المسلمون بكافة طبقاتهم .

إن السيرة النبوية (حياة محمد) تعطي حيزاً كبيراً لمعجزات النبي الكريم ، ولكن معجزته الكبرى والوحيدة التي هي من صلب الايمان وتلازمه ، هي القرآن الكريم الذي لا يضاهى ، ولم يوجد له مثيل ، فالاحترام والعبادة اللتان يحيط بهما الاسلام نبيه تجدان جذورهما وتتركزان في الاحترام والعبادة التي يحيط بها القرآن نفسه .

ويتألم المسلمون من كون اصدقائهم المسيحيين لا يريدون الاعتراف لمحمد عليه السلام بصفته النبوية ، بينما هم انفسهم يعترفون للسيد المسيح بذلك .

ويترتب على كل مسيحي راغب ومهتم بالحوار ، أن لا يتحدث عن محمد بدون احترام على الأقل ، وان لا يظهر أي ازدراء لهذه الحماسة التي يحيطه به الاسلام ، وان لا يتجاهل دوره الديني كداعية ومبشر دائم ودؤوب ، شجاع صابر ، رصين ، رابط الجأش ، داع

للوحدانية ، وعبادة الله التي نشرها وعممها المسلمون فيما بعد .

هذه الملاحظات والشروح هي أبعد من أن تستوفي وتستنفذ العقيدة والايمان الاسلامي من خلال المضمون المتعلق بوجود الانسان وحياته ، ونحن نوردها هنا على أساس كونها نقاطا للاستدلال وللارتكاز ، والتي تحث وتدفع القارىء المسيحي لحيازة معرفة مباشرة والحصول عليها .

ومن المستحسن ، لكي نتم هذه الأفكار الضرورية الواردة في الاحاديث الشريفة المنوه عنها سابقا ، ان نذكر بعض المعلومات عن الملائكة ، عن القيامة ، عن يوم الحساب ، والحياة المستقبلية . وما هو أهم لبدء الحوار ، أن نتعمق بما ينظر إليه المسلم الصادق من ايمان يشده ويفتعل في نفسه ، عوضاً عن أن نبحث عن علاقة لاهوتية للاسلام كما هو وارد في تاريخ الخلاص والنجاة . وفي هذه الحالة الأخيرة ظهرت ردود ومحاولات للاجوبة منذ بعض الوقت ، انها متنوعة . . وبعضها الآخر متناقض ، ولا يمكن إلا أن تثير بعض الصعوبات ، ونحن هنا حالياً في مرحلة الابحاث والدراسات والفرضيات .

الفصل الثالث

أنماط المحاورين المسلمين

لقد ركزنا على وحدة العالم الاسلامي التي تفرض نفسها على المراقب غير المسلم كعلامة ومؤشر مميزين للاسلام ، فوحدة الايمان والعبادة تربط وتشد العالم الاسلامي في المجاهرة والاعتراف بالله واحد ، والثناء على رحمته وتمنح المسلمين ضميرا حيا ودافعاً لامة متميزة وسط الامم على مر العصور وسريان الزمن . وهذه الوحدة ليست عامة وشاملة ، كما تظهر للوهلة الأولى ، فالعالم الاسلامي ، كما قلنا ورددنا ، يبقى كثير التنوع من حيث الاجناس والثقافات والهياكل الاجتماعية ، وفي بعض الأحيان يظهر ممزقا بالخلافات ، وفي مثل هذه الظروف والشروط ، فإن الحوار يمكن أن يعتوره بعض التغيير ، في حالة عرضه وتعريفه في صميم موضعه ،من وسط لآخر .

ولسوف نحاول هنا أن نعرّف باختصار بعض الحالات التي يعيشها المسلمون تبعاً لمواقفهم من الأمة أو من مجموع العالم العربي ، وأيضاً حسب المشاركة في الثقافة الحديثة ، وهذا البحث يجرنا إلى اعتبار العالم الاسلامي : - في تنوعه التاريخي والثقافي وتعدده . . .

- في تطوره الحالي حيال التحديث . .

العالم الاسلامي : تنوعه وتعدده

١ ـ العالم العربي في العالم الاسلامي

في الواقع ، ان الاسلام العربي ، بالرغم من أنه لا يمثل المجموعة الأكثر عدداً ، يحتل في نطاق الأمة ، المكان المميزة والمفضل . ففي الوسط العربي ولد الاسلام وأنزل ، ومن خلال هذا الوسط وبفضله ، وصل إلى شكله الأكثر كمالاً . وقد أصبح الاسلام العربي المعيار والمقياس للايمان وللتطبيق في العالم الاسلامي ، بالرغم من أن الخلافات العرقية ، التي كان لها بعض السوابق في العصور الخالية ، ما زالت قائمة الآن وبشكل راسخ ، ومتأصل بين العرب وغير العرب .

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنه من الصعب ، بل من المستحيل ، أن نحصل على معرفة موضوعية وعميقة للجماعة الاسلامية (الأمة الاسلامية) مهما كانت لغتها وثقافتها بدون أن نرجع ونستند إلى العالم العربي ، وعلومه اللاهوتية الدينية واعداده الحقوقي ، ومفهومه للشعائر الدينية التطبيقية ، ويكفي لكي نتثبت ونتأكد من هذا الواقع أن ندرس ونتمعن في اهمية المفردات اللغوية واللفظية العربية في الميدان الديني في اللغات الكبرى ذات الثقافة المعروفة ، كالتركية ، والفارسية ، والاردية ،والماليزية،دون أن ننسى اللغة السواحلية في افريقيا الشرقية وبعض اللغات الأخرى واللهجات . ومساهمة اللغة العربية وانسيابها في اللغات الأخرى تبين وتوضح ، خلال عصور عديدة ، تفوق الثقافة العربية الاسلامية ورجحانها في الأوساط المثقفة الاجنبية . فقد كانت تحمل وتنقل نوعا من الشمولية الحقيقية وتوحد وتخلق لدى الشعوب

المتعددة والمتنوعة وحدة ، وحدة بعيدة عن الزوال والاختفاء ، لأننا نجدها تتجمع وتعود وتتشكل فجأة ، أوقات الأزمات ، وتظهر في لحظات غير منتظرة ، بمناسبة بعض اللقاءات ، كما يحدث في مكة المكرمة اثناء اداء فريضة الحج . ومن الضروري أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الوحدة ، أو بالأحرى هذا الاتجاه والنزوع إلى هذه الوحدة والشمولية الشديدتي التماسك والقوة . لا ريب فإن نجاح ذلك ، هنا كما في حالات اخرى هو نسبي . حتى داخل العالم العربي ، تقوم التناقضات والتعدديات والمتغيرات والخلافات والانشقاقات . وإذا كان لا بد من الاعتراف بها واخذها بعين الاعتبار لكي نتجنب الصدام ، فإنه من الضروري أن لا نولي ذلك أهمية كبيرة ، لاننا كثيراً ما نميل إلى التركيز على هذه الخصوصيات ، اكثر من التأكيد وابراز الوحدة القائمة في العالم العربي الذي يرى في هذه المشاكل والخلافات الدينية والعرقية، ـ حسب رأيه ونظرته اليها ـ قضايا عائلية لا تهم غير المسلمين،وبالفعل،فإن افضل ما نعمله هو عدم الدخول في هذه الخلافات لان مهمتنا هي توحيد الناس لا تمزيقهم .

ويمكن أن نشعر ونتأكد أكثر من هذه الاختلافات خارج حدود العالم العربي ، وقد تكون هذه الخلافات أشد خطراً وعمقا ، لأنها تنبع من المذاهب ، وينتج بعضها الآخر من أوضاع تاريخية ، ومعارضة ثقافية للتفوق العربي ورجحانه ، اكثر من الاعتراض على المفاهيم الدينية أو اللاهوتية .

٢ ـ العالم غير العربي والوحدة الاسلامية
المذاهب والفرق (الانقسامات المذهبية)

تشكل المذاهب الاسلامية عشرة بالمائة من العالم الاسلامي ،

وبعضها كالشيعة والخوارج يرجع إلى القرن الأول للاسلام ، وبعضها حديث ، كالمذهب الاحمدي ، الذي مات مؤسسه عام ١٩٠٨ ، وتتمركز هذه المذاهب في مواقع جغرافية محددة ، وعلى الغالب وبنسبة كبيرة ، نجد الشيعة في العراق وايران وافغانستان ، وبعدد أقل في باكستان ولبنان ، وبعض فروعها تتوسع حاليا ، كالاسماعيلية والاحمدية ، حيث نجدها في افريقيا السوداء ، وبشكل خاص في افريقيا الشرقية ، الناطقة باللغة الانكليزية ، حيث تمارس الدعوة الدينية والتبشير بين الافريقيين .

واكثرية المسلمين الكبرى ، نجدهم في السنة ، فهم اكثر تعلقا واخلاصا للتقاليد الاصيلة . والسنة لا تعير هذه الانقسامات أي اهتمام . والمسلمون الذين يعيشون وسط زملائهم وامثالهم غير السنيين ، يعرفون ويقدرون هذا التفرد ، وهذا الجرح الذي يصيب الوحدة الأساسية ويحطم الجماعة (الأمة) . وغير المسلمين البعيدون عن هذه الأجواء ، يهتمون عادة بالمؤشرات الخارجية ، إذ يرون مثلاً أن هذا المسجد مخصص لجماعة معينة من المؤمنين ، ولا تقبل فيه غير هذه الجماعة . ونلاحظ ذلك لدى الاحمديين ، والاسماعيليين ، ولدى بعض المذاهب في افريقيا .

وهذا وضع خطير لأن انفصام الوحدة يعتبر انتهاكا موجها لاحد امتيازات الامة الاساسية ، ولتماسك وارتباط حرمة ما جاء به الرسول وللاعتبار الذي تحمله بشكل جماعي حيال وحدانية الله .

وسواء أكانت هذه المذاهب تشكل اقلية من حيث الاهمية والعدد ، كما ذكرنا ، وحيثما وجدت ، فإنها تشكل واقعا لا يمكن للمسيحيين تجاهله ، إذا كانوا يعملون للتقارب من المسلمين ومن الأمة الاسلامية .

وعلينا أن نتحاشى التسرع في وضع التوازنات بين هذه الخلافات ، وبين تمزق الوحدة المسيحية ، والاختلاف بارز وجوهري بين هذين الوضعين ، وبدون شك يمكننا أن نبرز هنا شهادة بعض المسلمين الذين يحكمون بكلِ صفاء وهدوء أن الخلافات بين المسيحيين اكثر جدية واكثر عمقاً .

وليس لنا أن نحلل هنا أسباب مثل هذا الحكم الذي له كل مبرراته ، وعلينا أن نفكر أن الاسلام لا يشتمل على مراتب بين رجال الدين ، وليس فيه اكليروس ، تنعقد حوله ، فتشتد حيناً وتتراخى حيناً ، الخلافات والانشقاقات . والصلاة الجماعية تكون صحيحة لدى المسلمين إذا امّ فيها أي مؤمن مخلص لايمانه .

وحيثما يظهر الانفصال ، فإنه يؤلم المؤمنين ويسبب صعوبات لهم ، كما يشكل مصدر ضعف لهم أيضاً ، فكيف يستطيع المسيحي أن يجد فيها مناسبة للاغتباط ! !

والمسيحيون الراغبون في المبادرة للاجتماع بالمسلمين للشروع في تبادل ديني ، أو للبحث في امكانية فتح حوار صادق معهم ، عليهم ان يتحاشوا ويتجنبوا ما يلي :

انها لمجازفة أن يجتمع مع اعضاء وأفراد ينتمون إلى المذاهب الاسلامية المختلفة في حالة وجود السنيين ، لانهم لا يقومون بترتيب مثل هذا الاجتماع وحدهم ، ولنترك لهم أن يتخذوا الاحتياطات التي لا نستطيع نحن اتخاذها لاننا نخاطر بأن نكشف التعارض الذي يسبب لهم المهانة أمام غير المسلمين .

وعلينا أن نحرص على عدم نشر هذا التمزق في الأمة ، ولا أن

نعمل على ابرازه ، واظهاره ، وعلينا أن لا نختار وننحاز نحن المسيحيين ، لهذه الفئة أو لتلك الطائفة ، كما يختار الانسان مجموعة من الاصدقاء ، أو كما يرغب في الانتساب لاحد النوادي أو الأحزاب السياسية . ففي دلك مجازفة . لأن العالم المسيحي ، والكنيسة ، على الغالب هي التي تختار المواقف وتحدد الاختيارات الدينية لدى الآخرين ، سواء أراد المسيحيون ذلك أو لم يريدوا . لاننا لسنا مهيئين أو مكلفين باجراء فرز واختيار بين العقائد أو للحكم على صحة النصوص .

واحسن ما يمكننا عمله في مثل هذه الحالة ، هو أن نستمر في فهمنا لحقائق الجماعات الاسلامية ، في مظاهرها المختلفة ، وأن نكون قادرين على فهم ما نرى ونسمع . . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى علينا أن نعتبر مسلما كل من يحترم وينتسب ويؤمن بالقرآن الكريم وبالنبي محمد عليه السلام . ونعتقد ، أنه ، إنطلاقاً من هذه القاعدة الثابتة والسهلة يمكن للمسيحيين المعنيين بتنوع الأوضاع والظروف الاسلامية في بعض البلدان ، أن يسيروا في طريق اللقاء ، حيث تبقى الصداقة الخالصة والايمان المميز هما الطريقان الصالحان للحوار .

المتغيرات الثقافية

إلى جانب العالم العربي الموحد بواسطة اللغة الفصحى وهي أساس كل اللهجات ، والتي تربط اللغات الأخرى بشكل مشترك ، فإن وسائل الاعلام كالاذاعة والتلفزة تكشف لنا مناطق شاسعة في افريقيا السوداء ، الغربية منها والشرقية ، وفي آسيا من الباكستان إلى

الفيليبين ، وتكشف لنا لغات اخرى غير العربية سائدة في تلك المناطق ، كما يسود فيها ثقافات اخرى غير تلك السائدة في منطقة الشرق الاوسط ، وكما تبرز لنا أيضاً بعض الحقوق والقوانين ، غير التي نراها في القرآن ، وأن أكثر من ثلاثة أرباع العالم الاسلامي يوجد خارج المنطقة العربية ، والتي تتحدث باللغة العربية . وهذا لا يعني أبداً أن الثقافة العربية الاسلامية غائبة عنها ، ومن السهل أن نثبت ، بالعكس ، كم هي سائدة وموجودة إذا احصينا المدارس القرآنية المتواضعة في القرى إلى أن نصل إلى احصاء المراكز الاسلامية في المدن الكبرى .

من المؤكد أن هناك من ينكر ويرفض على العرب وجودهم في المجال السياسي ، ولكن تبقى سلطة زعماء العرب الدينيين ومفكريهم معترفا بها دون طعن بها أو خلاف ، الا في حالات فردية وهامشية .

إن الوفاء والاخلاص للاصول الحقيقية للدين ، والتي يرى العرب انهم يمثلونها ، لا تستبعد أو تنكر إطلاقاً تعلق هذه الشعوب المتنوعة بثقافاتهم الخاصة بهم ، وببعض مخلفات وآثار الماضي الموروثة ، وهذا التنوع ، وهذا التعدد ، لا يشكل انكارا ، أو جحوداً للوحدة الاسلامية .

ويرى المسلم أن هذه (الأمة) هي نتاج لهذه الاختلافات في اللون والجنس ، والتي جمعها الاسلام ، في الاوساط العربية والتركية والايرانية والهندية والماليزية والأفريقية : إذ لا فضل لمسلم على أي مسلم آخر إلا بالتقوى . وهذه ظاهرة طبيعية ليست محصورة أو خاصة بالاسلام ، ولا بالدين الاسلامي ، ولكننا نجدها في جميع العقائد التي تريد أن تكون ذات صبغة شمولية وعمومية .

وفي الواقع أن الشعوب تنتمي إلى الدين محتفظة بماضيها وثقافتها وتاريخها ومزاجها وطباعها ، وكل شعب له طريقته في أن يترجم كما يحلـو له الرسالات الدينـية التي تنزل عليه ويكلف بها ، والشيء الذي لا يمكن انكاره هو أن الديانات الكبرى تتأقلم وتتآلف بشكل متبادل عندما تلتقي . ومن الطبيعي أن يعكس كل عرق أو جنس مزاجه وطباعه في تطبيق معتقداته ، وبعضها يكون صلباً وشديد المراس ، أو ضيقاً في ملاحظة وتنفيذ المبادىء ، وعنيدا في علاقاته مع غير المسلمين ، والبعض الآخر يظهر بمظهر الموافق والقابل بكل طواعية لحكم يؤلف ويوفق بين المذاهب المتعارضة ، سواء لعدم وجود تربية دينية مركزة ، أو نتيجة لموقف توفيقي يتعلق بثقافته ومميز لها .

ومن الضروري أن نعرف خصوصيات المسلمين غير العرب ، وأن نأخذها بعين الاعتبار ، إلا أنه يجب أن نحترس من أن ندع انفسنا نرتهن لهذه الخصوصية الاقليمية ، والمعرفة الموضوعية والعميقة تتطلب أن نحدد بشكل دقيق هذه المتغيرات الثقافية في مجموع (الأمة) ، وفي هذه الحالة تأخذ الاختلافات أبعادها الصحيحة ، وندرك بشكل احسن كيف تندمج وتنسجم وتتلاءم في عمق الديانة الاسلامية . أو كيف تنفصل أو تتجرد عنها . والرؤية الحقيقية للاشياء تتطلب منا أن ننظر إلى التنوع والتعدد من جهة ، والوحدة من جهة اخرى بمنظار واحد .

٣ ـ مسيرة العالم الاسلامي نحو التحديث

في كل البلدان يسير العالم الاسلامي في طريق التحديث ، مثله مثل البشرية جمعاء . إذ يحاول العالم الاسلامي حاليا أن يكتشف

« نماذجه » في الغرب الأوروبي أو الامريكي ، ومن الممكن أن يحاول في المستقبل اكتشافها في مناطق اخرى ، وهذا التوجه نحو الثقافة الغربية يشكل عاملا هاما للتقدم في طريق الحوار . والتقارب بين الثقافات يسهل التقارب بين الأفكار ، ولكن هذا التقارب ليس متماثلا في كل مكان وزمان ، ولا متشابها في داخل الأمة الواحدة ، الأمر الذي ينتج عنه تنوع وتعدد يؤثر بالضرورة على مسار الحوار وادارته . ولهذا فاننا نريد اعطاء فكرة عن هذا التعدد بأن نحدد الفئات الاجتماعية الأساسية التي يمكن أن تظهر في بعض الأحيان في ارجاء العالم الاسلامي .

أ ـ المسلمون ذوو الثقافة الغربية

في اكثر من الأحيان فإن الذين يدخلون بطوعهم في علاقة حوار مع المسيحيين هم الطلاب والأفراد الذين يعملون في المهن الحرة ، والخبراء والتقنيون الذين يتحدثون بلغة أو بلغات أوروبية ، والذين حصلوا على ثقافة ذات نمط غربي واصبحوا بالتالي أقل تمرسا وممارسة لدينهم ، تماما كما المسيحيون في الغرب الذين اصبحوا أقل ممارسة لدينهم أيضاً، ونزعوا عن وجوههم مسحة الدين المسيحي . وهؤلاء المسلمون غالبا ما يعانون ويشعرون بالصعوبات في التوفيق بين آمالهم وتطلعاتهم الشخصية ،والتزامهم الدنيوي والمادي وبين الايمان بعقيدة تقليدية . وبالفعل يجب علينا أن نحيطهم بجو من صداقتنا ، ومساعدتهم عند الضرورة لاسكتشاف ايمانهم بالله من جديد ، ودعمهم على مستوى الحياة المعنوية والاخلاقية والاجتماعية ، دون أن يرهقنا بقاؤ هم بعيدين عن كل الاهتمامات الدينية .

ومن الممكن في بعض الأحيان ، ومن خلال احترام حرية كل فرد ، وبدون أي تنازل أبوي وعائلي في غير محله ، أن نشاركهم في شعورهم بالاضطراب والقلق الديني ، لا من أجل العمل على زيادته ، فهذا عمل ضار وغير صحي ، ولكن من أجل أن ينطلقوا ويسلكوا طريق التفاهم في مجال الدين ، ومن أجل توازن جديد بين الشعور الديني وبين المتطلبات الثقافية الحديثة .

ولكن مثل هذه الصداقات البسيطة والسهلة نسبياً يجب ألا تتحول إلى شاشة لا تظهر الحقيقة وعلينا أن لا نحكم على الاسلام ، وبشكل خاص ، الاسلام الحديث الذي يعيشه الناس في الوقت الحاضر ، من خلال هذه الصداقات ، وهذا هو الشرط الأول لوضع الحوار موضع التنفيذ ، والبدء به .

ويجب ألا يتأثر ويتألم أو يغضب الانسان ، إذا رأى المسلمين يحكمون على الكنيسة ، في هذه الأيام ، من خلال المسيحيين بالمولد الذين لم يعودوا يهتمون بالعيش في ظلال الانجيل ، فحذار أن نرتكب مثل هذا الظلم الذي قد نلوم عليه غيرنا .

ب ـ المسلمون ذوو الثقافة العربية ـ الاسلامية :

وإلى جانب هؤلاء المسلمين الذين نشأوا على الثقافة الغربية نجد أيضاً بعض المتعلمين والمؤمنين من ذوي الثقافة التقليدية الذين يعيشون الايمان في ذاتهم الداخلية ، أو يعملون على أن يعيشوا هذا الايمان من خلال ذاتهم الداخلية ، وعددهم اكبر مما نظن ، فبعضهم ينفتح على الحوار ، وبعضهم الآخر يرتاب به ، وقد حدثت حالات من سوء التفاهم أبعدتهم عن المسيحيين . ولكن المسؤولية لا تقع على

عاتقهم وحدهم ، ويصبح من الضرورة بمكان في مثل هذه الحالة ، تعلم لغة هؤلاء وثقافتهم ، ولو بحدود ، لكي نتمكن من النفاذ إلى قواعد تفكيرهم وأصولها .

وهذه المقتضيات تظل قائمة ، حتى ولو كان المسلم المثقف والمتعلم والمتدين يتقن بشكل خاص لغة أو اكثر من اللغات الأوروبية . ذلك أن هناك نمطاً من التفكير ومن ردود الفعل مترسخة في الخلفيات الداخلية للطفولة قد تظل مجهولة تماما . ويجب أن لا ننسى أن اللغة الأصلية للثقافة لدى الشعوب العربية والاسلامية هي اللغة الفصحى ، ولسوف تفرض هذه اللغة نفسها اكثر فأكثر ، كلما ازداد تقدم التعليم ومحو الأمية . وقد يبدو أحيانا أو غالباً أن اللغة العامية تكفي في ايامناهذه ، لأنها لغة الحوار الدارجة . قد تكون كافية في الأوساط الشعبية الاسلامية التي نلتقي بها ، وتعلمها قد يكون ضرورياً بلا ريب ، ولكنها لا يمكن أن تكفي المحاور المسيحي إذا كان يريد أن يكون قادراً على فهم ووعي الأصداء العميقة للايمان الاسلامي الصادق ولو كان ذلك لا يظهر جلياً وبشكل واضح . ومهما يكن فإنه من المأمول أن يعرف المحاور بعض عناصر اللغة العربية ، لغة القرآن ، وهي لغة الشعائر الدينية في الاسلام .

وعلى الاغلب ، فإن المثقفين والمتعلمين التقليدين ذوي اللغة والثقافة غير العربية ، كالاردية ، والفارسية ، والماليزية ، والتركية ، والسواحلية ، إنما يترتب عليهم ان يتقنوا أو يلموا ويعرفوا اللغة العربية .

جـ ـ المسلمون من الأوساط الشعبية .

مقابل النخبة المثقفة ، والتي لا تبعية لها متطورة كثيراً أو قليلاً

تجاهها ، فإن جماهير المسلمين تتعلق بها ، ومن الخطأ الاعتقاد بأن هذه الجماهير لا تملك أية ثقافة انسانية حتى ولو كانت هذه الجماهير أمية .

وفي كثير من الأحيان وخاصة في القرى والأرياف ، فهناك تزدهر فيما بين هذه الجماهير حكمة تقليدية تحمل في طياتها توازنا انسانيا ، وهذا التوازن ينتفي بوضوح لدى بعض من فقدوا كل أصالة وتماسك بثقافتهم الأصلية .

وكثيراً ما يعيش هؤلاء المسلمون في أوساط معاشية فقيرة ومع ذلك فهم حافظوا على تقاليدهم في تعبيرهم الديني ، ولو كانوا يجهلون بعض مظاهر وعناصر هذا الايمان ، وذلك نتيجة نقص في الحصول على ثقافة إسلامية متطورة .

وإيمان هؤلاء الشديد ، العميق في بعض الأحيان ، وصل إليهم من التقاليد التي حملها اليهم المجتمع ، وحافظوا عليها ، وليس لنا الحق في أن نحكم من خلال هؤلاء على الاسلام الحقيقي ، تماما كما لو قبلنا حكما على مسار الكنيسة يقرره غير المسيحيين الذين لا يعرفون من المسيحية سوى بعض الأفكار المتفرقة ، وقد يكونون مؤمنين ولا شك إلا أن أنهم جهلة . وفي الواقع أن ايمان الاميين - وهذا صحيح بالنسبة للاسلام ، وبالنسبة للمسيحية - قد يكون اكثر عمقاً وصحة مما قد يتبادر لأول وهلة إلى ذهن الملاحظ ولكنهم لا يقدرون على التعبير عن حقيقة الدين ، وقد يمزجونه بالتقاليد الجماعية المشتركة التي يتخيلون انها مرتبطة به ارتباطا كليا ، وقديرهقون الايمان

بعناصر وهمية وخرافية ، فيزيدون من حجمه ثقلاً ، وقد يشوهونه.

ويكون الانسان مصابا بعمى البصيرة إذا لم يذهب إلى ما هو أبعد من المظاهر . كما يجب أن لا نعتقد أن القيم الانسانية في حقيقتها والتي يعيشها ويؤمن بها هؤلاء (الصغار) والمساكين هي غريبة وبعيدة عن الجذور والأصول الاسلامية ، ولا يمكن أن نميز ، من خلالهم بين المسلم والانسان . إلا إذا عرفنا قبل كل شيء الاسلام في جوهره وحقيقته الدينية والثقافية . وقد يكون ايمانهم التقليدي جلب لهم كثيرا من الثروات المعنوية التي قد تتجاوز تفكيرنا ، ويبقى ايمانهم ملتصقاً بنصوص القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة التي حفظوها عن ظهر قلب اثناء طفولتهم ، والتي تذكرهم بها الاذاعات مرات متعددة ويوميا .

د ـ المسلمون في عالم العمال الحديث

عادة يرتبط المسيحيون بعلاقات مع عالم العمال ، المتنوع ، ذلك العالم الذي يجمع بين الكادحين الذين تخلوا عن التنظيم الاجتماعي القبلي ، وبين التقنيين ذوي النشأة والتربية الحديثة على السواء ، وهذه المجموعة لا تشكل طائفة وطبقة اجتماعية فحسب ، ولكنها تشكل تجمعاً إنسانياً قطع صلاته مع بقية السكان والبشر الذين استمروا في العيش طبقاً لطريقة وجودهم ، الموروثة عن الماضي .

إن عالم اليوم الحديث نجده في ورشات العمل ، وفي المصانع ، كما نجده على مختلف مستويات الادارة ، وهذا العالم شديد التنوع ، سواء من حيث أصول الأعضاء ، أو من حيث درجة نشأتهم وتربيتهم التقنية .

وما يوحّد هؤلاء العمال هو الارادة التي تجعلهم يعملون على تطور مجتمعهم في جميع المجالات ، ولكن هذا التطور يصطدم بمقاومات ، ويثير مشاكل انسانية ذات طابع اخلاقي وديني واجتماعي ونفساني ، وصدام الاجيال يجعل من الصعب ايجاد الحلول ، أو العمل على تطبيقها وتنفيذها .

وباختصار ، فإنه من الممكن دعوة المسيحيين للمساهمة في هذه المسيرة نحو التقدم في العالم الاسلامي ، سواء لانهم ينتمون إلى احد الاوطان الاسلامية ، أو نظراً لكفاءاتهم واختصاصهم ، فقد يدعون للتعاون مع الرجال في هذا البلد أو ذاك . وعندئذ يمكن البدء بالحوار الذي لن يكون اقتصاديا فقط ، بل يتضمن القيم الروحية الأساسية ككرامة الانسان ، والحرية ، والاهتمام بالخير المشترك . والمسلمون المنتمون لهذا القطاع الحديث في حياتهم يمكن دعوتهم إلى الانتماء لكل هذه الاتجاهات ، فنجد منهم المؤمنين الممارسين ، وقد نجد فيهم من طبعتهم على مستويات مختلفة أفكار المادية الغربية . ويجب أن نتجنب ، بالنسبة لهذه الفئة الأخيرة أن نحكم عليها بعدم الاهتمام ، أو باللامبالاة والانكار أو الالحاد ، حتى ولو كان افراد هذه الفئة يرفضون ممارسة دينهم الاسلامي أو يعتبرون بأن الزمان تجاوز بعض أصول هذا الدين ، ذلك أن الاسلام يبقى بالنسبة لهم اطارا للحياة ومرجعاً وسندا لقيمهم الخاصة .

ومن النادر أن نجد بعض المسلمين يرفضون كل فكرة دينية ، ولهذا سيكون وهماً أن نحكم على أقوال أو تصرفات الشباب الذين يعبرون في الغالب عن رغبتهم في تجديد المجتمع الاسلامي وتحديثه ، بانها رفض للدين وانكار . بل علينا الاعتقاد بأن الثقافة العربية والاسلامية

متشربة بفكرة (الله) إلى حد انه يتعذر تأصيل الالحاد في نفوس المسلمين ، ولهذا علينا أن نعتبر أن هؤلاء ، ولو اظهروا بعض الفتور ، كمؤمنين حقاً ، يستطيعون التعاطف مع المؤمن المسيحي ، وأن يقيموا معه حوارا حقيقيا حول القيم الأصيلة للحياة الانسانية وللمجتمع . لقد تحدثنا إذن ، وبخطوط عريضة ، عن بعض الفئات الدينية والاجتماعية للعالم الاسلامي ، ولقد كان يتوجب علينا أن نعطي ولو لمحة ، لمن معرفتهم ما تزال بسيطة للمجتمع الاسلامي ، وعلينا أن نسرع وننسى هذه التجزئة ، وهذا التقسيم عندما ندخل عالم الاتصال والحوار ، وهو عالم حي .

فالانسان هو الذي يجب ان نكتشفه ، لذلك ما أن ندخله في عالم التصنيف والفهرسة في تفكيرنا ، حتى يبطل أن يكون محاوراً لنا ، فالمحاور يجب أن يبقى هو هو ، لا شيئاً ، أو ضميراً مستتراً ، والا فالتبادل لن يكون حيا ، بل يكون التحليل باردا وفاترا ، وذلك لا من أجل (شخصيتنا) بل من أجل تجميع ما نملك من تجربة أو من علم ، فالآخر ، المحاور الآخر ، ليس موضوعا بل هدف وغاية ، ولهذا فإن الحوار قد ينقطع ، ومن هنا يكون اللقاء الشخصي هشا وسريع العطب ، ويذوب بسهولة ، إذا ما عمدنا إلى تصنيف محاورنا ، والحوار الصحيح يتطلب اهتماما مستمرا بشخصية الانسان الآخر ، وهذا موقف للفكر وللقلب ولن يكون لا مشتركاً ولا سهلاً ، ويجب أن نعترف بذلك ، بل يجب أن نفتش عن موقف كل مسيحي من أجل الاعداد لحوار حقيقي . ولكن كيف نعرف الانسان الآخر ، وبكل عمق ، دون أن تكون لدينا معرفة خاصة وصميمية

لاسباب وجوده ، ولا يمكن لأي حوار صادق أن يبدأ إذا لم تكن لدينا الرغبة في التعرف على الايمان الاسلامي بكل عدل وموضوعية .

والمفروض أن نعرف ونفهم من الأعماق ما يفكر فيه الانسان الآخر وكيف يعيش ، وكيف يريد أن يفكر أو يعيش .

الفصل الرابع

كيف نتهيأ ونستعد للحوار

بالنسبة لنا ، فإن الحوار هو موضوع جاد ، يتأصل بكل عمق ، ويتأكد في ثقافتنا وايماننا ، ويجب أن لا نتردد في القول أن الحوار هنا ، هو معركة نخوضها ضد أنفسنا أكثر مما يشكل مجابهة ، بمعناها الفلسفي ، في الحوار مع الانسان الآخر . .

فما هي الحواجز والصعوبات التي تقف حائلاً ، أو تفسد تفاهما وتفهما احسن مع الآخرين ! ان وضع قائمة بالمواضيع التي سادها سوء التفاهم ، والأحكام المسبقة والظالمة ، التي اثارت في الماضي الكثير من التعارض والتناقض بين المسلمين والمسيحيين . . سيكون امرا طويلاً ، ومليئاً بشتى المواضيع ، التي كانت وما تزال ، ولو على درجات متفاوتة ، تلقي بثقلها على علاقاتنا وتؤثر فيها تأثيراً سيئاً بليغاً ، والبيان الذي صدر عن المجمع الكنسي يطالب باصرار تجاوز هذه الخلافات ومعارك الماضي ، ويلح على أن نلتفت إلى المستقبل ، وابرز ما جاء فيه قوله .

«إذا كانت قد برزت ، خلال العصور ، انقسامات وعدوات

واحقاد بين المسلمين والمسيحيين ، فإن المؤتمر يطلب بالحاح إلى الجميع ، نسيان الماضي ، وبذل الجهد ، بصدق وامانة ، للتوصل إلى التفاهم المتبادل ، وقيام الجميع بالتنادي لحماية وتشجيع العدالة الاجتماعية ، والقيم الاخلاقية والسلام والحرية ، بالنسبة لجميع البشر » .

وهذا المقطع الذي ورد ذكره أكثر من مرة في الصحافة العربية ، اثناء انعقاد المؤتمر ، احدث اهتماما عميقاً لدى المسلمين الذين وجدوا فيه بشائر عهد جديد في علاقاتهم مع المسيحيين .

ومهما يكن ، فإننا إذا أردنا أن يكون هذا النسيان للماضي ، الذي طالب بنسيانه المؤتمر ، واضحا وصريحا ، فليس هناك من ضرر ، بل هنالك فائدة ، في أن نعرف على الأقل ، في الأساس والجوهر ، هذه المواضيع المليئة بسوء التفاهم ، والاحكام المسبقة المنحازة ، والتي ما تزال تجرجر ذيولها علينا . بشكل عفوي غير مقصود .

ونعتقد بأنه من الضروري جداً أن تزول كل هذه السلبيات عندنا ، لكي يكون الحوار من جانبنا ممكنا ، لان المثال الذي يعطي في هذا المجال ، وبهذه الطريقة بدون تردد وتحفظ ، وبدون تكتم ، وبدون تكرار أو إعادة ، يمكنه أن يجعل التبادل ـ بشرط المعاملة بالمثل ـ أقل صعوبة مع المسلمين ولديهم .

١ ـ الاعتراف بمظالم الماضي

يجب علينا كمسيحيين ، ونحن نخاطب المسلمين ، أن نفكر قبل كل شيء في صعوبات وعوائق الحوار ، والتي تتعلق بنا إلى حد

كبير ، وإلى الظلم والجور الذي أحاط به الغرب ذو التربية المسيحية ، المسلمين ، واقترف ذنوباً واثاما عديدة بحقهم .

المرارة العميقة : قبل كل شيء ، يجب أن نأخذ في اعتبارنا أن العصور الماضية ، كالسنوات الحالية ، قد تركت في الأذهان والأفكار ، وخاصة في بعض المناطق ، مرارة عميقة حيال الغرب . وخلال بعض الوقت ، مرت على دمشق وبغداد وطليطلة ، ظروف سعيدة ولكنها كانت قصيرة ، سادها التعاون والتضامن . وهذا الماضي السعيد لم يتوصل ، بالرغم من كل شيء ، إلى معادلة الشعور الذي عاناه المسلمون ، في ذكرياتهم ، بأن المسيحيين ، اوقفوا ، بل حطموا ، انطلاقهم الحضاري نتيجة الحروب الصليبية ، التي ساهمت بوضع حد لأكثر الأوقات ازدهارا في التاريخ الاسلامي . يضاف إلى هذا الاستعمار ، ـ وهذا ما يشكون منه ـ الذي حال دون نهضتهم التي بدأت بشائرها تظهر في القرن التاسع عشر ، هذا الاستعمار الذي حال دون أن يقطفوا الثمار التي املوا أن يقطفوها ، وبالفعل فإن الحقيقة كانت احيانا أشد تعقيدا مما ظهر ما ردود فعل عليها .

ويجب هنا ، أن لا نحاول اجراء تحاليل تاريخية دقيقة ، بل يجب علينا أن نفهم شريكنا من خلال ادراكه وحساسيته .

هذه المرارة التي يحس بها المسلمون تجاه الغرب المسيحي قد ظهرت فجأة ووضحت معالمها من خلال الكفاح والنضال من أجل التحرر . فلم تبق مجلة أو جريدة ، ولم يتوقف أي زعيم سياسي أو ديني ، إلا وربط بين هذا الماضي الغابر والأحداث الجارية ، وكان هذا الربط ، بالنسبة لهم كلهم ، احد الأدلة الأكثر انفعالا ، التي ادت الى المواجهة بين الشرق والغرب، بل ان المناورات السياسية

والاقتصادية ، في وقتنا الحاضر ، بما فيها المناورات التي يقودها نفر بارز من غير المؤمنين ، برزت وفسرت بانها شكل جديد من أشكال الحروب الصليبية .

ولا ريب أن هذا الشعور هو أقوى لدى العرب ، بينما نجده أقل حدة لدى الشعوب الاسلامية غير العربية . وبالفعل فإن الحروب الصليبية لا تجد لها أي صدى في تاريخها ، ولكن الاستعمار الأوروبي مارس عليها تجربة قاسية ، تجربة التفوق المحتقر لحضارتها .

وفي الوقت الحاضر أيضاً ، تطرح نفسها المشكلة الشديدة الخطورة الناجمة عن انشاء دولة اسرائيل . ونحن نعرف ونقدر ، كم تضغط هذه المشكلة وتثقل كاهل العرب في منطقة الشرق الاوسط ، بشكل خاص ، وكم تزعج مجموع الأمة كلها . كما اننا نعرف ، بشكل أجمالي ، ما هي مسؤوليات الغرب التي أدت إلى هذا الوضع ، وليس لنا أن نملي هنا سياسة محددة ، بل علينا أن نفتش عن توجه إنساني ومسيحي في اعطاء احكامنا ، والادلاء بآرائنا .

وإذا ما طرحت هذه المشكلة وعرضت خلال اتصالنا بالمسلمين ، فإن حكمنا يجب أن يستند إلى البر والمحبة والعدالة والشرف . ومما لا شك فيه ، فإن وسائل حل هذه المشكلة العويصة ، تعوزنا ، فعلينا على الأقل أن ننحاز دائماً لطرف من يتألم ويتعذب أكثر من غيره ، وأن نظهر في حال عدم تمكننا من تقديم العون الفعال ، تعاطفا وودا ، لا يقتصران على الكلام .

لا ريب أن تذكيرنا وترددادنا لهذه المواقف القديمة ، ولردود الفعل على مواقف واحداث راهنة إنما يثير صعوبات وعقبات فعلية

أمام الحوار ، لذلك فإن مهمتنا الأساسية تحتم علينا تنقية الأجواء بشكل يمكن للحوار أن يجري بكل وضوح وصراحة .

وعلينا أن نعترف قبل كل شيء ، وبكل امانة وصدق ، بالمظالم التي ارتكبها الغرب ، وأن نعطي الدليل باننا نتخلى عن تضامننا مع التفكير والذهنية اللتين سادتا الماضي ، ومع بعض التصرفات في الوقت الحاضر . ومن الأهمية بمكان أن نبقى موضوعيين عندما نحدد الأحداث والأفعال في مضمونها التاريخي الفعلي والحقيقي . وهذا الاهتمام بالموضوعين يبقى احسن الوسائل لكي نزيل ، أو على الأقل ، لكي نخفف حدة أجواء التناقض والتعارض ، وسوء التفاهم ، ونستفيد كثيراً من الصراحة ، إذا طبقناها بكل حصافة ولباقة .

ولكن علينا أن نذهب أبعد من ذلك ، لان المسلمين يعتقدون ، بعمق أنه إذا اظهر لهم المسيحيون الاحترام والحب كافراد ، فانهم لا يضمرون لهم ذات التقدير والمحبة كجماعة أو كأمة .

لذلك يترتب علينا أن نبذل كل جهد لاعادة النظر في مواقفنا ، إذا أردنا ، بحق أن نستبعد ونتخلى عن الماضي ، الذي حفر الهوة وما يزال يعمقها شيئاً فشيئاً بين الشرق المسلم والغرب . . !

وعلينا كمسيحيين أن نزيد من اهتمامنا ، بشكل خاص ، بالشخصية الاجتماعية للشعوب الاسلامية وبمشاكلها الدينية والاجتماعية وان نسهل ونشجع وفق امكانياتنا ، ايجاد الحلول لها . وبالاضافة إلى هذا ، فإنه لا يكفي أن نحب المسلمين ، بل يجب أن

نتوصل إلى احترام الاسلام ، من حيث تعبيره ، وتمثيله لقيمة انسانية راقية وعالية ، ومن حيث أنه مرحلة متقدمة في التطور الديني للعالم ، من حيث علاقته بالوثنية والالحاد والشرك .

واذا ما تحقق ذلك ، فإننا نكون قد تجاوزنا الموقف السياسي الناجم عن أثار الحروب الصليبية ، أو آثار المواقع والعوائق الاستعمارية ، لكي نجد موقفا صحيا يحمل في طياته ، الحقيقة الناصعة .

٢ ـ لنتحرر من أفكارنا المسبقة الأكثر تعصباً وبروزاً . .

وهنا أيضاً يجب أن نخضع أنفسنا وأفكارنا لعملية تنقية عميقة ، ونفكر بشكل خاص ببعض الاحكام « المجهزة » والتي نطلقها في اكثر الأحيان ، وبكل خفة حول الاسلام . .

ومن الضروري أن لا نستسلم ، أو أن نغذي في سريرة انفسنا ، هذه النظرات والآراء السريعة والكيفية ، والاعتباطية في اكثر الأحيان ، والتي لا تنطبق اطلاقاً على المسلم المخلص والصادق . ومهما كانت المناسبة التي يتم فيها الحوار ، ولو لم يتطرق اطلاقا لموضوع ديني ، كأن يتعلق الأمر بعمل علمي أو تقني مثلاً ، نمارسه معا ، فإنه من الضروري أن نحمل معنا فكرا ، وقلبا خاليين من كل فكرة مسبقة قد تشوه هذا العمل وعَرّفه .

وليس من النادر ، اضافة إلى كل هذا ، أن تبرز هذه المواضيع ، أو المواضيع المشابهة ، عرضا خلال حديث أو لقاء عابرين .

ومن المفيد أن نعدد هنا بعض هذه الأفكار « المجهزة » عن الاسلام ، وأن نعمل ، قدر الامكان ، على تصحيحها في داخلنا وسريرتنا ، ومن أجل انفسنا ، وقبل كل شيء من أجل كل حوار .

أ ـ نظرية القضاء والقدر في الاسلام

القدرية في الاسلام هي دين (المكتوب) نعم ، أن المسلم يؤمن بالأمر الالهي ، ويستسلم لارادة الله تلك الارادة التي لا يمكن مناقشتها . والقرآن يمجد ويشيد دوما بعظمة الله وسلطته المطلقة وحكمته :

﴿فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ سورة ابراهيم الآية الرابعة .

كما يشدد القرآن الكريم ويبرز مسؤولية الانسان الذي سيحكم عليه من خلال أعماله ، وقد ورد في (سورة غافر) ـ الآية ١٧ ـ قوله تعالى :

﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب﴾ .

وقد جاء في (سورة الزلزلة) ـ الآيات ٦ ،٧ قوله تعالى :

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ .

ولقد نجحت في القرن الثالث للهجرة مدرسة دينية ، ومذهب «لاهوتي» ـ إذا جاز استعمال هذه الكلمة ـ وارتفع لواؤها، ولكنها

استنكرت وادينت فيما بعد ، وخلال قرون عديدة ، وهي مذهب (المعتزلة) التي عادت لتستعيد بعض مكانتها في أيامنا هذه . وهي مدرسة تؤكد أن الانسان « يخلق » أعماله أو « يبتكرها » . وانكار الحرية الانسانية ليست في شيء في الايمان القرآني . بينما وجدت مدرسة اخرى ، سادت وقتاً طويلاً هي (الاشعرية) التي ترى أن هذا الانكار هو النتيجة الملازمة لعظمة الله اللامتناهية ، وقدرته وسلطانه . وقد كان لاستمرارية هذا النجاح أن اثرت ولا شك في الذهنية والنفسية الجماهيرية والشعبية .

واعتبارا من مطلع القرن السادس عشر ظهرت جماعات دينية هي (الطرق الدينية) التي كان لها الأثر الحاسم في تحويل فكرة الاستسلام لله ، والاتكال عليه إلى عملية انقياد « عمياء » وسلبية ، معتبرة ذلك الوسيلة الوحيدة للدفاع عن الفقراء والمساكين .

ونعتقد أن هذا الانقياد والاستسلام ـ الذي لا يخلو من العظمة ـ هو الذي أفسح المجال في الاسلام لاسطورة ـ القدرية ـ ، القضاء والقدر .

إلا أن الفكر الاسلامي الحالي ومنذ أواخر القرن التاسع عشر ، يرفض هذه الفكرة ، وهذه الاسطورة . وقد يحدث أن نرى بعض المسلمين ، يجهلون تاريخهم ، ولكنهم حساسون تجاه هذه الناحية من دينهم ، أي القدرية ، نراهم مستعدين لكي يتخلصوا منها ، لان ينكروا ايمانهم والجحود به .

إلا أن أكثر المسلمين يحبون أن يرددوا القول بأن الله جعل من

الانسان خليفة له على الأرض ، فقد ورد في (سورية البقرة) ـ الآية ٣٠ ـ قوله تعالى :

﴿اني جاعل في الأرض خليفة﴾ .

كما ورد في الحديث الشريف : (فإن كل جهد للتفكير الشخصي والتأويل الشخصي ، الاجتهادي ، يجد جزاءه ومكافآته) .

ولهذا فإن مسألة الحرية الانسانية تجاه القدرة الالهية تبقى مطروحة ومفتوحة ، ويمكننا ان نضيف بأن المقصود هنا هو لغز فلسفي ، وسر من اسرار الفلسفة ، اكثر من كونه مسألة أو مشكلة .

ب ـ الفقه في الاسلام

إن ما قلناه عن الايمان الاسلامي ، وعما يضمره القلب ، والحكم الخاص والداخلي الذي يلازمه بالضرورة ، يكفي أن يجعل هذا الاتهام ، وهذا الادعاء اكثر نسبية . وهذا صحيح ، لأن البر الاسلامي ، هو في الأصل خوف وتقوى ، يمكن تطبيقه طواعية بتنفيذ حرفي للوجائب والشعائر الدينية . ونتيجة للحيرة والتردد تجاه هذه الناحية ، فقد يميل المسلم التقي والمؤمن ، لأن يرى فيها لا شرطاً اساسياً ، بل ضمانة للنجاة والانقاذ ، وتأكيداً موضوعياً بأن ايمانه صحيح وصادق ، وبالتالي يؤدي إلى خلاصه ، ولكن الا نرى في انسانية هذا الموقف مالا يستطيع المسيحي التخلي عن مثله ؟ وهنا يجب أن لا نعمل على تأويل الفقه الذي يؤمن التقيد والمراعاة الخارجية مهما

كانت ، بتدابير حقيقية ومخلصة ، وتؤمّن القيمة الضرورية للنجاة ، ونضيف أن الأمل الأكثر ثباتا هو أن يكون الانسان هدفا للرحمة الالهية ، وهذا لا يتأتي من التنفيذ العملي الخارجي الذي نغذية فحسب ، ولكنه يتأتى من صدق الايمان بالعقيدة والشهادة والانتماء إلى أمة النبي : وقد ورد في (سورة البقرة) الآية ٢٥٦ قوله تعالى :

﴿لا اكراه في الدين﴾ .

وفي سورة الحج (الآية ٧٨) : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ .

وبدون أي شك فإن (الصدّيق) هو ذلك الانسان الذي يحب ويحترم قانون الله ، ولذلك فهو معرض لنوع من حب التظاهر والتباهي اثناء تأديته لواجباته ، وهذا موقف يقترب من موقف « الفريسيين » في الشريعة اليهودية - ومن شابههم في الديانة المسيحية - وهم الذين يراءون ويتظاهرون بالتقوى ، ولكن هذه الظاهرة بدأت شيئاً فشيئاً تزول وتتلاشى لمصلحة أعمال البر والخير ، ولمصلحة ما يثبته ذلك من صدق الايمان والاخلاص للعقيدة .

جـ - الاسلام دين الطاعة لله

لقد قلنا فيما سبق أنه من بين تسعة وتسعين من الاسماء الحسنى للذات الالهية ، فإن هناك فقط اسمان يشيران إلى الله بأنه « الجبار » و« القهار » ، ومضمون النص يؤكد وبوضوح بأن الله يظهر بهذا الشكل تجاه الكفار والملحدين ، والخوف المفروض على المؤمن ليس خوف العبيد ، او الاستعباد ، والذي يرى بعض المؤلفين ضرورة

تجاوزه . انه الخوف المنبعث من الهيبة والوقار والذي تغذيه عبادة القدرة الالهية المطلقة ، والاتكال على رحمة الله ومغفرته ، والذي يضيؤه اندفاع حماسي للاعتراف والقبول بفضائل الله . فالله هو الحي الذي لا تضاهى الوهيته ولكنه قريب من المؤمن ، وهو الذي لا يكف عن المغفرة (الغفار) .

فالايمان الاسلامي ليس خوفا ، ولا فزعا ، انه ثقة كاملة ، لاننا اذا لم ندع الله ونسأله ، فلأننا نعرف أنّه الرحيم الكريم الرحمن .

وإذا وضعنا جانبا التيارات الصوفية ـ ومعها الاتجاهات الاصلاحية الحديثة ـ فإن الاسلام ظل فترة طويلة على حذر وارتياب بحب الله ، لأن الله كما يقول قدماء رجال الفقه والدين لا يمكن أن يكون موضع حب من قبل المؤمنين ، لأن الحب يفترض الموافقة والانسجام (ابن تيمية) ، وهذا ما يؤدي إلى الانتقاص من مستواه ، وانزاله إلى مستوى المخلوق . ولكن يجب علينا أن نحب الخير ، ونحترم أوامر الذات الالهية ، ولكن هذا لا يعني ، أن هذا الدين هو دين الخوف ، ولكنه دين الطاعة لله ، نتيجة الثقة برحمته ، وحبا بتعاليمه ، وأوامره . ويجب أن نعرف ونقدر القيم الحقيقية التي نلتزم بها مهما كانت حدودها ، إذا اعتبرنا أن القاعدة المطلقة ، والمبدأ الأساسي للحب الالهي هو نقطة الارتكاز .

ومع ذلك فمنذ القرن الحادي عشر ، فإن محبة الله التي نادى بها ودعا إليها الصوفيون ، قد ادخلت وتوطنت في بعض تيارات الفكر الاسلامي الرسمي .

ومؤلفات الغزالي وآثاره تشهد على ذلك ، وقد بدأت هذه

التيارات الأخيرة تتغلب حاليا على وساوس وتردد علماء الدين . وقد يكون لمختلف المؤثرات المسيحية دور في تقويتها مباشرة، أو بشكل غير مباشر . وعلى كل حال ، وإذا استبعدنا بعض الحالات الاستثنائية ، فإن المسلم المؤمن لا يتردد في أن يتحدث ويتغنى بحب الله ، وفي عام ١٩٦٥ نشرت احدى الصحف الكبرى في القاهرة ، مقالا بقلم شيخ الأزهر ، وبعنوان : (الاسلام دين المحبة) ، ولقد كان يتحدث عن محبة الانسان المتأصلة في الايمان بالله .

د ـ التسامحية في الاسلام

ليس من النادر أن نسمع من يقول بأن الاخلاق القرآنية هي قليلة التشدد حتى أن بعضهم يدعي أنه لا توجد « اخلاق » اسلامية ، ولكن هل نعلم أن العديد من المسلمين الذين يرون بعض المسيحين يعيشون ، ويتصرفون ، ويعملون ويحملون الهوية المسيحية ، يقولون نفس الشيء عن الاخلاق المسيحية . وصحيح انهم يعترفون بالحياة المثالية لبعض المسيحيين المؤمنين بالانجيل ، إلا انهم إذ يردون إلى التعليم الاسلامية الكثير من فضائل المسيحية ، فانهم يرون تلقائياً بعض الناس يتجاوزون الحد الأدنى المقرر في عقيدتهم وايمانهم .

وهذا هو التمييز الذي يجب أن نقّر به هنا . إن الاخلاق الاسلامية موجودة ، وتستند على الاخلاق القرآنية وهي متصلبة ومتشددة ، وليس من الصعب أن نجد في القرآن ، كل ما يوازي الوصايا والأوامر التي نراها في المسيحية وغيرها من الأديان :

ولنقرأ قوله تعالى في سورة الانعام (الآية ١٥١) :

﴿ قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ .

ولنقرأ أيضاً ما ورد في سورة النحل :

﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ .

كما وردت أحكام وأوامر عديدة ، في قوله تعالى عن الزنا والفحشاء والفسق واللواطة والسرقة والشهادة الكاذبة ، وهذه احكام وردت في القرآن الكريم .

فمثلاً : (سورة المؤمنون) الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ :

﴿والذين هم لفروجهم حافظون * الا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون﴾ .

وفي (سورة الشعراء) ـ الآية ١٦٥ ـ ١٦٦
﴿أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل انتم قوم عادون﴾ .

وفي (سورة المائدة) ـ الآية ٣٨ ـ
﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾ .

وفي (سورة الممتحنة) ـ الآية ١٢ ـ

﴿ يا ايها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتينا ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ .

وفي (سورة النساء) ـ الآية ١٣٥ ـ

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين أو الأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعلمون خبيراً ﴾ .

صحيح أن الاسلام يسمح بالطلاق ويتساهل به ، ويسمح بتعداد الزوجات ، إلا أن تطوراً حقيقيا بدأ يتأكد ويتضح ، اذ نجد اثارا لهذا التطور في تفكير وذهنية الكثيرين ، وعلى مستويات مختلفة ، كما نراها في تشريعات بعض الدول الحديثة ، لدرجة أن بعض المسلمين المتشددين ، وبدون أن يطالبوا بالتخلي عن تعدد الزوجات المشروع ، والوارد في القرآن الكريم ينصحون بالغائه فعلاً ، ونستشهد بما جاء في كتاب الزعيم المغربي علال الفاسي (النقد الذاتي) ـ ١٩٥ ـ وهو في وقتنا هذا من كبار زعماء الاصلاح ـ إذ يقول :

(إن السماح بتعدد الزوجات كان مرتبطاً بشروط المساواة والعدالة ، وهذه الشروط ليست ممكنة التطبيق في أيامنا هذه ، والغاء هذه الشروط أصبح ضرورياً وسريعاً ، إذ أن هذا الوضع يعطي خصومنا الحجة والبرهان لمهاجمة الدين نفسه) .

وليس صحيحا كذلك القول بعدم وجود الاخلاق العائلية في

الاسلام ، انها موجودة بالفعل ، ولها وقتها وزمنها وصعوباتها ، وإذا لم تكن مشابهة لما في المسيحية ، فليس من العدل أن لا نعترف بها ، كما نعترف بالاخلاق المسيحية . . انها تطورت ، وما زالت تتطور ، ولعلها تقدم امكانيات واحتمالات التقدم الأكثر حتمية وحقيقية من تلك التي يؤدي اليها النفوذ الكبير لعالم غربي ، اخذ يبتعد عن مسيحيته .

والاخلاق الاسلامية ترجع إلى الله . . تعتمد عليه ، ولكن كما مر بنا سابقا فإن المخالفة والعصيان التي لا تمس القيم المرتبطة بالايمان ، اذا كانت تستحق الجزاء والعقاب ، فإنها لا تلغي في النتيجة مبدأ الخلاص . ونجد هنا على صعيد العمل الاخلاقي نوعاً من الروابط التي تطبع علاقات الانسان بالله . وليست الحالة هذه هي حالة من التسامحية أو التصالحية ، بل هي حالة من النسبية تجاه الآخرة ، ضمن اخلاقية متشددة على صعيد الانسان بما يخصه بالذات . وهذا ما يطبق على الشهادة والايمان غير المتصدع الذي نشعر به نحو الله الواحد الأحد ، ونحو رسوله ، لان أعمال الخير والشر التي لا تلزم الايمان تتناسب ، لأن العطف الالهي ورعاية الله مؤمنة للانسان ، هذا المخلوق من التراب إذا كان مؤمنا ، ويعلن هذا الايمان بالخالق . وفي النهاية فإن ما يؤخذ بعين الاعتبار هو الرحمة العليا ، والتي نسميها القضاء والقدر ، أي الايمان . .

هـ ـ التعصب في الاسلام . .

يشعر المسلم بغضب وسخط عندما يرى الغرب ينظر إلى الاسلام وباستمرار ، على أنه متعصب ، يفرض الايمان بقوة السلاح ، ويشهر السيف على من يعارضه : « أما أن تؤمن او

تموت » ، هكذا ينظر الغرب إلى الاسلام ، ولهذا فإن المسلم يشدد دائما على تسامح الاسلام وعلى احترامه لايمان (أهل الكتاب) الذين كانوا يعاملون كأهل الذمة في الماضي ، ويتمتعون اليوم بكامل الحقوق والمساواة كمواطنين ، فيستشهد بالآيات والسور القرآنية المؤيدة للمسيحيين ويرد الحجة والاتهام الموجه إليه بأن يعيد للاذهان بعض الأحداث التاريخية التي تشهد وتؤكد على التعصب المسيحي .

وكل مسلم يعتز ويفتخر بايمانه ، وانتمائه لامة محمد ، وبالتالي فإنه يرغب بالطبع أن يتقاسم مع الآخرين ما يراه هو أنه الحق المنزل والمنقذ .

ويرغب الاسلام بشموليته ان يرى العالم كله يحترم هذه الحقوق ، « حقوق الله والانسان » ، التي جاء بها وفسرها القرآن الكريم . غير أن الاتصال الحالي الوثيق بين الشعوب هو الذي يؤمن معرفة أفضل لتنوع وتعدد الثقافات ، ومن شأنه أن يلجم هذا الأمل الشمولي .

وما امكن تسميته بالتعصب ليس مرتبطاً بالقيم الدينية الاسلامية ، كما هي ، إذ يمكننا أن نرى فيها ، على الأغلب ، نتيجة طبيعية لبعض مبادىء تنظيم (المدينة المقدسة) الكاملة والتامة ، حيث لا يندمج فيها الروحي بالدنيوي فحسب ـ وهذا طبيعي في الاسلام ـ ، بل إن المسلم المؤمن وحده له حق المواطنية فيها ، وفي الواقع فإن الاسلام لم يكن متعصباً على الاطلاق خلال تاريخه ، كما كانت عليه (المدن المسيحية المقدسة) خصوصا عندما كان يرتدي الايمان المسيحي الطابع السياسي .

وقد يشير البعض إلى الحرب المقدسة (الجهاد) في الاسلام، كدليـل على التعصب ، وهنا ، الا يوجد بعض التناقض والغموض ؟ ان ما يسمى عادة بالحرب المقدسة في اللغات العربية يعني في (اللغة العربية) الجهاد في سبيل ألله ، أي بذل الجهد للوصول إلى طريق الله ، وهو جهد يقصد به الدعوة للاسلام ، والدفاع عنه ضد المعتدين عليه .

والجهاد لا يقصد منه إبادة الغير ، كما ورد في التوراة ، وهو لا يدعو للابادة ، ولكنه يدعو إلى نشر حقوق الله والانسان في مناطق وبقاع جديـدة . إنه الاتكـال الكامـل على الله ، والاخـلاص لله ، والمقاتل الذي يموت وسلاحه بيده من أجل نصرة الاسلام ، وقضية الاسلام ، هو الشهيد المثالي ، والشهيد القريب من الله ، وما رأينا من عنف وشدة وقساوة في الماضي ، في مجال (الجهاد) ، كان يتبع ويستند على العموم ، إلى قوانين الحرب . وفي زمن الحروب الصليبية ، لم يكن المسلمون دائماً هم الذين ارتكبوا المجازر والمذابح الكبرى .

والواضح أن الجهاد بالسلاح ، كما عرفناه ابان الحروب الصليـبية ، كان تعبيراً عن عقلية لم نعد نأخذ بها في أيامنا هذه . ولم يعد أحد يقبل بالعنف والمذابح ، خصوصاً إذا كانت باسم الدين . وهذا ما يمكن اعتباره تقدماً حقيقياً للانسانية . والمعركة الفضلى ليست معركة السلاح والحرب ، إلا أن المعركة الحقيقية ، وهي الأكثر صعوبة وقساوة ، هي التي تهدف إلى إقامة السلام بين الامم ، في اطار من العدالة والكرامة والشرف . وكثيرون من المصلحين والدعاة المسلمون ، باتوا يرون حالياً أن واجب الجهاد

أصبح مضمونا ومؤمنا بشكل كاف بالوسائل السلمية التي يجب أن يتفرغ لها الجميع . وموقف كهذا ، والذي تعتنقه الأكثرية الساحقة من المسيحيين ، يفتح الآفاق العريضة لحوار بناء من أجل السلام والعدالة والتعاون في مجتمع انساني عريض . فإن الاغراء بالتعصب يمكن أن يؤثر على المسلم الذي لا يحفظ من دينه سوى ما يتعلق بدنياه ، ولكن يبدو أن عمق الايمان الداخلي قد تغلب اخيراً على هذا الاغراء .

وحسب بعض التقاليد الروحية المعروفة ، فإن المعركة بواسطة السلاح تدعى الجهاد الأصغر ، والجهاد الأكبر ، هو الجهد الداخلي والشخصي المبذول إخلاصاً لله ووفاء له ، وقد ورد في حديث نبوي شريف : (ها نحن قد عدنا من الجهاد الأصغر لنلتزم وننطلق في طريق الجهاد الأكبر ، وهو الجهد الروحي الصحيح) .

وتجاه المعركة الداخلية ، معركة شعورنا وعواطفنا كما يقول الامام (الغزالي) فإن الجهاد الأصغر يعمل على توسيع حدود الاسلام وهو ليس اكثر من نسمة ريح تهب على بحر هائج . والجهاد هو طريق الوصول إلى الجنة ، تلك الجنة في الاسلام التي طعن بها المسيحيون واساؤوا مفهومها ، واستهزأوا بها ، إلا أنها الجنة التي وصفها القرآن الكريم ، وتتجلى فيها من خلاله ، المعاني الالهية الصادقة ، والآمال المخلصة لعمل الخير ، وهذه المعاني تجعل المفهوم الديني قبساً من الروحية الالهية .

و ـ جمودية الاسلام

يقولون أحياناً إن الاسلام هو دين متجمد ، مسمر في موضعه

يبقي مؤيديه ومعتنقيه في عهود القرون الوسطى التي ولت وانقضت ، ويجعلهم غير قادرين ، وغير جديرين بالتكيف والتآلف مع الانجازات التقنية لعصرنا الحديث . إن هذا الحكم باسلوبه اللاذع ، قد يؤثر في كثيرين من المسلمين ويثير مشاعرهم ، فلا يجدون من خلال رغبتهم في رفع بلادهم إلى مستوى الحضارة التقنية وسلطانها ، لا يجدون أي سبيل والحالة هذه الا بانكار كامل للاسلام ، والتنكر لكل ايمان بالله ، ولقد رأينا مثل هذه الحالة الفكرية في التشريعات التي اصدرها « اتاتورك » ، وفي مقال كتبه أحد الضباط السوريين ضد الاسلام وكل قيمه الدينية مما أثار ضجة هائلة في ربيع عام ١٩٦٧ .

والتعارض المزعوم بين الاسلام ، وبالتالي بين وجود الله ، من جهة ، وبين الفكر العلمي من جهة اخرى قد يشكل العامل الأكثر حدة في تخلي النخبة الشابة من المسلمين عن ممارسة شعائر الدين والابتعاد عن الايمان . وهذا ما يمسك بزمامه ويوجهه التأثير الماركسي أو الأفكار الوضعية،بالاعتماد على فلسفة مادية وتجربة علمية.

فهل أنه من حق المسيحيين أن يردد هذا الصدى ، وهل يوجد حقا في الاسلام من العوائق ما يمنع التقدم العلمي وتطور المجتمعات ؟

وعلى المسيحي ألا ينسى بأن نفس التهم قد اطلقت على الكنيسة وما تزال تطلق في كثير من الأحيان . ولن يدهش والحالة هذه إذا كان أكثر المسلمين يرون في هذا « الجمود » اتهاما غير ذي موضوع .

ولقد كانت أهم محاولة وابرز مهمة قام بها الاصلاحيون

المعاصرون ، هي تنقية الاسلام من التقاليد المضافة إليه ، و« العودة إلى الينابيع » ليبرهنوا على أهلية الاسلام لأن يتمثل التقدم الصناعي والتقني ولكن هذا الموضوع ما زال من هذه الوجهة مطروحاً على بساط البحث . ونكتفي هنا بأن نورد ملاحظتين :

الأولى : اننا لا نرى بالفعل ما اذا كان يوجد في العقيدة الاسلامية ، أو الدين الاسلامي ما هو من شأنه أن يتناقض مع اكتساب العلوم الحديثة ، وهل علينا أن نعيد التذكير بالامجاد العلمية الكبرى خلال العصور التي ازدهرت فيها الثقافة الاسلامية ، ومن العبث أن نرد على ذلك ، كما يحدث في بعض الأحيان ، بنظرية الأنكار « الاشعرية » للاسباب الفرعية ، والمقصود هنا هو قضية فلسفية بحتة ذات مفهوم ومبدأ يتعلقان بالسببية ، إذ أن الانكار أو القبول لا يرتبط إطلاقاً بالبحث العلمي الحديث ، فالنظرية « الاشعرية » للانكار والمتعلقة بالاسباب الفرعية تحافظ على مفهوم (التقليد الالهي) من خلال مجرى الأشياء ، والتي تبقى قابلة للتوفيق مع الطبيعة المادية الحديثة ، تماما كما تتطابق مع نظرية (الظاهرية) الانكليزية التي تقصر المعرفة بالظواهر على أنها وحدها الحقائق . ولقد سجلنا فيما سبق أن نظرية (الاشعرية) حول الحرية هي مذهب من المذاهب ، ومطابقتها دائما ومزجها بالاسلام هو تفسير تاريخي خاطىء وغير منطقي .

الثانية : ما تزال توجد في بعض البلدان الاسلامية جماعات ذات هيكلية اجتماعية متخلفة ، وهذا ما يعطي انطباعا عن الجمودية . إذ أن بعض المسلمين التقليديين قد اغلقوا منافذهم على تقاليد توارثوها دائما مع الايمان الاسلامي ، إلى حد أن أي بلبلة

تحدث في الأولى ، ستكون بالنسبة اليهم علامة لانحسار الثانية والتعتيم عليها . . أو لم نتعرف في الماضي ، وما زلنا نتعرف ، في المسيحية ، على ظواهر مشابهة ؟

إن دمج الروحي والزمني وأسلوب تحقيق (امة النبي) ، تجعل التمييز صعبا في مفهوم الدين الاسلامي ما بين التقاليد المتوارثة وبين الايمان بحد ذاته ، فالمبادىء التي تحكم العلاقات الاجتماعية ، وأساس التنظيم السياسي ، واردة في النصوص القرآنية ، وبالتالي يتقبلها المسلم كقانون الهي موضوعي ، لا يمس ولا يناقش . وفي هذه الحالة يجب على المحاور المسيحي أن يعرف كيفية الاطلاع على الجهود الصادقة للتجديد والتطور التي ترتسم في الفكر الاسلامي المعاصر ، وليس له أن يفرض رؤ يته عن الاسلام ، على المسلمين في الوقت الحاضر ، ولكن عليه أولاً أن يأخذ بعين الاعتبار ، الرؤ ية التي يقترحونها عليه . وما من شك بأن الاتجاه السائد حاليا هو إعادة التقدير والتقويم للتميز التقليدي ، وهذا ما رأيناه في آثار الامام الغزالي (القرن الثاني عشر) وفي آثار العالم المتشدد ابن تيمية (القرن الرابع عشر) .

ولا ريب أن المسلم يعتقد بأن القرآن يجب أن يؤخذ ككل ، ولا يمكن تجزئته ، وتعاليمه تغطي أربعة ميادين :

العقائد ـ العبادات ـ الاخلاق ـ المعاملات : وكلها ترتبط بالايمان وتلتزمه . وفي ارادة الله المشرع ، أن الميدانين الأولين ، يستحيل المس بهما ، أو أن يدخلا في نطاق الجدال والنقاش ، أما الثالث ـ أو القواعد الخلقية ـ فيأخذ في الاعتبار التطبيقات العرضية

وتنوعها ، والرابع ، فإنه يفسر ويطبق ، ويتوضح طبقاً للزمان والمكان . واننا نجد ، حتى في النشوء التقليدي للفكر الاسلامي مبدأ يفسح في المجال أمام تطور المجتمع المدني .

والمسلمون يعتمدون في التطور على الاجماع . والرأي السائد لدى السنة (٩٠٪ من مجموع المسلمين) أن الاجماع هو اتفاق العلماء والفقهاء والائمة المتخصصين في زمن ما على رأي معين حول موضوع ديني ، وهذا مبدأ للاستمرارية والتجديد .

ويورد المسلمون حديثاً للرسول ﷺ : (ان امتي لن تتفق على الخطأ والأثم) .

والشعور بعدم التحرك والتجديد لدى المؤمنين المتحدين والذين يمثلهم علماؤهم وائمتهم المتخصصون يجب أن لا يختلط بنظرية العصمة عن الخطأ لدى الكنيسة ، ويجب أن لا يهمل أيضاً في محاولة فهم الفكر الاسلامي .

أما بالنسبة لاسس التنظيم السياسي وقواعده ، فإن نصوص القرآن الكريم تفرض ، من جهة ، بأن كل سلطة تنبع من الله ، وأن طاعة الزعيم والرئيس الشرعي للأمة هي طاعة الله من جهة اخرى .

بالاضافة إلى أنه يتوجب على من يمسك بزمام الحكم أن يستشير مرؤوسيه والمواطنين ، وان على المؤمنين أن يتشاوروا فيما بينهم . ومما لا شك فيه أن مثل هذه المبادىء كانت وما تزال متطابقة مع اشكال الحكم المختلفة منذ حكم العباسيين الفردي والمطلق ، أو حكم القلة العسكرية التركية المغولية ، وصولاً إلى الديمقراطيات

الحديثة ، المتحررة (الليبرالية) منها أو الاشتراكية .

ودراسة منجزات العصر الكلاسيكي التقليدي أصبحت ضرورية لايضاح المبادىء العامة للفلسفة السياسية الاسلامية . غير أن الامبراطوريات التي ظهرت في الماضي ، وأسس تنظيم السلطة فيها في أدق تفاصيلها لا يمكن أن تمثل النموذج المتكامل وغير المتبدل للمدينة الاسلامية .

وإذا ما اردنا أن نبدأ مع المسلمين حوارا مثمرا ، فقد يكون هنالك ضرر كبير واذى ، إذا تشبث المسيحي برؤ ية للدين وللأمة وللمدينة الاسلامية ، لا يتعرف المسلم الذي يحرص على أن يعيش ايمانه ، ومن ايمانه ، على نفسه فيها إطلاقاً . فبمقدار ما يبذل المسلم من جهد داخلي للانفتاح ، دون أن ينكر قيمه الدينية ، في طريق التطور الاجتماعي والسياسي ، بذات المقدار يتوجب على المسيحي أن يزداد اغتباطاً .

ثالثاً : أن نأخذ بعين الاعتبار مفهوم المسلم للمسيحية .

هل يرغب المسلم في الحوار ؟

الجواب يختلف ، إلى أبعد الحدود حسب الاوساط والأفراد ، إلا أن هنالك مؤشرات ايجابية ، وهي ليست نادرة ، فالدعوة التي وجهها الأزهر للكردينال (كوينغ) لكي يتحدث في اكبر مدرجات الجامعة الأزهرية ، والمقال الذي كتبه مسلم لبناني ، والمحاضرة التي القاها استاذ جزائري ، وبعض المجموعات المتخصصة بالدراسات الاسلامية ، كل هذا من المؤشرات الايجابية . يضاف إلى هذا الاهتمام الذي حظيت به بعض التصريحات الصادرة عن المؤتمر

الكنسي ، أو عن بعض الشخصيات الدينية ، كل ذلك ايقظ لدى النخبة ، رغبة اللقاء بالمسيحيين والتحدث اليهم حول بعض المواضيع الاجتماعية ، والاخلاقية ، والثقافية ، ومنها الروحية أيضاً ، وقد وردت شواهد عديدة من المغرب وافريقيا الغربية ، ومن الشرق الاوسط ، من تركيا وماليزيا ، وكلها تؤيد هذه النظرة ، إلا أنه ، ويجب أن نعترف بذلك ، ظهرت بعض الدهشة ، بل والشكوك حيال ذلك ، ومن المهم أن نحاول اكتشاف وايضاح الأسباب .

آ ـ المسيحية والمسيحيون في نظر الاسلام والمسلمين :

يتعرف المسلم ، وقبل كل شيء ، من خلال نصوص القرآن الكريم نفسها ، على الدين المسيحي ، وإذا عدنا واعتمدنا مؤشر الحقيقة المطلقة الذي يتمتع به نص القرآن الكريم في نظر المسلم ، نفهم لماذا هو قليل الاهتمام بالاستماع إلى المسيحين يتحدثون إليه عن عقيدتهم وإيمانهم . وفي اقصى الحالات فإنه يطلب اليهم تاريخ التفسيرات والشروح العقائدية المتصلة بأصول الايمان ، ويطلب اليهم أيضاً كيفية نشوء وظهور وتكوين مختلف التيارات والمذاهب ، ولكنه لن يسألهم عن رسالة السيد المسيح .

وقد بدأ البعض من المسلمين بقراءة نصوص الاناجيل أكثر مما كان سائداً في الماضي ، كما بدأ حدث جديد ومفرح بالظهور هو نشر بعض المؤلفات التي تعالج هذه المواضيع بكل ود وتعاطف ، ونذكر منها كتب (عباس محمود العقاد) عن عبقرية المسيح ، و « المدينة

الظالمة » لكامل حسين ، و « مع السيد المسيح في الاناجيل الأربعة » لفتحي عثمان .

وبالطبع فإنه لن يطلب من المسيحين تفسير المعنى العميق لهذه المؤلفات والآثار ، وعلينا أن لا ندهش ، إذا ما وجدنا لدى بعض المسلمين نوعا من اللامبالاة حيال القيم المسيحية الاصيلة ، والتي يعيشها المسيحي ، بالرغم من أنهم يعيشون بقربها يوميا ، أو يسيرون بمحاذاتها ويحترمونها . وهناك آية قرآنية مشهورة تفتح الطريق للحوار الممكن من جهة ، وتحدد بعده ومداه وبكل عناية ودقة من جهة اخرى .

وهذه الآية الكريمة وردت في (سورة العنكبوت) ـ ٤٦ ـ وهذا نصها :

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا ، وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون﴾ .

ويرفض المسلمون مناقشتهم في المعاني التي يعيطها أهل الكتاب لكتبهم وكيف يفسرونها ، لقناعتهم أنهم ـ اهل الكتاب ـ قد حوروا في بعض هذه الكتب وتلاعبوا بها ، بحيث يرفضون الاعتراف بأن التوراة والانجيل قد بشرا بظهور محمد عليه السلام والمسيحيون ، كما ورد في الآية الكريمة (٨٢ ـ ٨٣) من سورة المائدة ﴿انهم أقرب مودة من الذين آمنوا﴾ ونص الآية الكريمة :

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ، ذلك بأن

منهم قسيسين ورهبانا ، وانهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ والله الواحد ، الأحد ، هو الذي كلف عيسى بالدعوة إلى الدين .

وما يسميه المسيحيون باسرار الغيب . سر الثالوث المقدس ، وسر تجسيد السيد المسيح ، والقيامة ، ليست سوى صيغ ، ابتدعت وعقدت بدون أية فائدة ، من قبل العلماء ورجال الدين ، وهي تهدد بالاساءة إلى وحدانية الاله الصافية والصادقة ، فالمسيحيون لم يعرفوا كيف يحافظون بشكل عام وشامل وصادق على رسالة عيسى ، وثبت ذلك مما ورد في سورة المائدة (الآية ١٤) :

﴿ومن الذين قالوا انا نصارى، اخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظاً مما ذكّروا به ، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ .

والخلافات بين المسيحيين كانت حجة ممتازة ومختارة ، استفاد منها الذين يدافعون ويبررون العقيدة الاسلامية ، وازدادت هذه الانقسامات والخلافات خطورة على مرّ الأيام والعصور ، إذ أن الأنجيل الذي جاء به السيد المسيح هو كله من الله ، وهذا صحيح أما النصوص التي تقرأ وتفسر باشكال متعددة فقد حورت من قبل رجال الكنائس المسيحية .

من هنا يمكننا أن نرى ما هي الصعوبات التي تجابه علم « الدراسات المسيحية » التي يدرسها المسلمون ، والتي يجب ألاّ تكون موضوع معارك فكرية ومشاحنات ، بل على المسيحي أن يرى فيها

عرضاً لمبادىء دينه ، وبالمقابل فاننا نتمنى أن يتقبل وجهة النظر المسيحية ، بهدوء وموضوعية ، من خلال علم الدراسات الاسلامية التي يدرسها المسيحيون . من هنا فإن الرغبة في التفاهم المتبادل تظل هي القاعدة الضرورية لكل حوار .

وربما تكون الشهادعلى الحياة التي يعيشها بعض المسيحيين طبقاً لتعاليم الانجيل المطلقة ، حافزاً للمسلم على التساؤ ل عن متطلبات هذه العقيدة والايمان بها ، والتي يكون قد ظنّ بأنه تعرف عليها .

ب ـ اسرار الغيب المسيحية في نظر الفكر الاسلامي

ويبقى في البداية التي قد تستمر طوال الزمن هذا النص القرآني الكريم :

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي احسن﴾ ـ سورة العنكبوت ـ الآية ٤٦ ـ الذي يؤكد على كل ما يقرب ويوحد لا على ما يفرق ويبدد ، تبقى هذه الآية الكريمة محافظة على كل القيم . . ولهذا فإن المناقشة دفعة واحدة ، في اسرار الغيب المسيحية ، لا يعني ولا يؤكد البدء بالحوار ، بل يجعلنا ننهمك وننكب على الخلافات والمناقشات فلا تؤدي الكلمات المستعملة من هذا الطرف أو ذاك المعنى الموحد والمطلوب .

وعلى هذا الأساس ، يتوجب على المحاور المسيحي أن يبذل كل الجهد هنا ، في أن يفهم من أعماق ذاته ، ما يمكن أن يعني بالنسبة للمسلم شرح قواعد العقيدة ، عقيدة التثليث ، وعقيدة التجسيد ، مثلاً . ومهما كانت قيمة هذا البيان والتفصيل جيدة ، فاننا نتأكد بأن

المسلم ، في اكثر الحالات ، يفهم التثليث المسيحي كما لو كان نوعا من التعددية ، ادخل على مفهوم الذات الالهية . حتى ولو اراد المسلم أن يفسرها ايجابيا وبرضاء ، فإنه يرى فيها تجسيدا غير ذي فائدة للصفات الالهية الثلاث . ومن هنا ترد فكرة التقارب التي يمكن أن تتم بين هذا التفسير الايجابي وبين فكرة الحصر والتقييد ، اما فيما يتعلق بمبدأ التجسيد ، فإنها لا تبدو للمسلم إلا على شكل اتصال بين الطبيعة الالهية وبين الانسان ، وفكرة ابن الله تبدو له نوعا من توالد الطبيعة ، وفي هذه الحالة علينا أن نعود إلى تحليلات ومناقشات الغزالي .

وتجاه موقف المسلم هذا ، على المسيحي ، إذا أراد أن يحترم أفكار مخاطبه ، أن يحفظ في ذاكرته هذين الاحتمالين .

أن يتذكر قبل كل شيء ، وبشكل عام ، أن التجسيد غالباً ما فهم بمعنى أن شخصاً انسانياً قد اكتسب الالوهية أو أسبغ عليه ثوب الألوهية ، وفي احيان اكثر ، فهم بانه يعني الانسان ، الإله الذي أوجده الله نفسه في زمن ما . ولكن ، ورد في القرآن الكريم وفي (سورة يونس) ـ الآية ٦٨ ـ ﴿قالوا اتخذ الله ولدا ، سبحانه هو الغني ، له ما في السموات وما في الأرض أن عندكم من سلطان بهذا تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ .

كما ورد في (سورة الاسراء) ـ الآية ١١١ ـ

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبّره تكبيراً﴾ .

وجاء في (سورة المؤمنون) ـ الآية ٩١ ـ

﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ .

وفي (سورة الفرقان) ـ الأية ٢ ـ

﴿ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ .

وهناك آيات عديدة شريفة تعطي نفس الاجوبة وترد بنفس المعنى والنص . وعلينا أن نستذكر ، بعد هذا ، أن الرفض الاسلامي لكلمة الله المتجسد ، لا تعني رفض وانكار الرحمة الالهية بل هي التزام بفكرة الاله الواحد . ولسوف يسعى علماء الدين الاسلامي المسيحيون طويلاً ، ليعرفوا ما إذا كانت النصوص القرآنية تستهدف فعلاً قواعد وأصول الدين المسيحي ، أو ما إذا كانت مجرد اعلان عن هرطقات مسيحية تريد تسفيهها وإبطالها . وهنا يمكننا أن نتأكد من وجود الدافعين التاليين :

أولاً ، إن الصيغ والتعابير التي شجبها القرآن لا يمكن أن تنطبق إلا على دين مسيحي محرف أو مشوه . ثانياً ، ان هذا الشجب يظهر كانكار لاسرار الغيب ، « التثليث والتجسيد » ، حسبما فسرها الفكر الاسلامي . ولذلك فمن العبث أن نحاول البرهنة على أن الدين المسيحي ليس كذلك وهو ابعد ما يكون عن تشويه الوحدانية الالهية ، طالما أن المسلم لم يتأكد بالشهادة الحية ، ان هذه الاسرار : التثليث والتجسد والقيامة ، إنما هي تأكيد لها وجزء أساسي منها .

وعلينا والحالة هذه أن نكون قادرين على بيان هدف وموضوع

ايماننا بالتقرب من المسلم ، الأمر الذي يحمل من يريد الحوار بحق ، على التفكير ، لا على المهاترة .

جـ ـ الوحدانية المسيحية في نظر الوحدانية الاسلامية

قبل أن نبدأ الحوار ، ولكي لا يشوه هذا الحوار منذ البداية ، يجب أن يعمل المسيحي على اقناع محاوره بايمانه بوحدانية الله ، لا عن طريق مناقشة اسرار الغيب ، واسرار الحياة الالهية ، بل عليه أن يثبت أن الكنيسة ، كنيسة المسيح ، ومنذ عشرين قرنا ، بقيت على التزامها وايمانها بالله ، ويجب أن يتم ذلك ليس على صعيد النقاش والجدال ، بل على صعيد الشهادات التي قدمها المسيح تدريجياً ، والتي يمكن أن تقنع المحاور ، ويستمع إليها بكل احترام . وانه لمفيد تكرار القول بأن كل من ناقش وجادل من المسيحيين ، ذوي النيات الطيبة ، فردد متلعثماً اسرار التثليث والتجسيد والقيامة ليجعلوها مقبولة من المخاطب المسلم ، قد وجد من هذا صداً ورفضاً، لأنه لا يرى في كل ذلك سوى انتهاك لوحدانية الله ووحدانية الطبيعة الالهية .

﴿قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن لـه كفواً. احد﴾ هذه الآية الكريمة هي في نظر الاسلام رد حاسم ، ودحض لمبدأي التثليث والتجسيد في المسيحية ، ولكن في كلمة الله احد ، نجد صدى للفظ مشابه هو « إهد » بالعبرية ، كما ورد في التوراة . والرب هو الاله والرب هو واحد ، وهذا ما يدل عليه علم دلالة الالفاظ .

ويكتشف المسلم على الدوام بدهشة محببة أن اصدقاءه المسيحيين يضعون في صلب ايمانهم ما تؤكده التوراة ويعتنقون صفة

الوحدانية ، اله واحد احد بذاته ، والذي لا يعلو عليه . ولكن يجب أن نذكر بما جاء في بيان مؤتمر « لاتران » الرابع ، الذي يفسر جوهر الطبيعة الالهية باعتبارها « الحقيقة القصوى التي لا تدرك ، ولا يمكن التعبير عنها ، أو وضعها ، وهي وحدها أساس كل شيء ، وبدون أن يؤثر فيها أي شيء وهذه الحقيقة لا تلد ولا تولد » . . ولهذا فاننا نعود فنجد إذن ، وبدون تسلسل تاريخي ، بالطبع ، ذات الالفاظ الواردة في سورة الاخلاص ، في القرآن الكريم . وبمناسبة الحديث عن اسرار الغيب ، كالتثليث والاخطاء التي ارتكبها الكثيرون ، فقد تدعمت وحدة الجوهر أو المادة أو الذات الالهية وماهية الجوهر والطبيعة الالهية . وفي المحاضرة التي القاها الكردينال (كوينغ) في ٣١ آذار ١٩٦٥ في الأزهر ، تحدث عن الوحدانية ، وموقف المؤمن بالله تجاه الالحاد الحديث الذي نراه في ايامنا هذه ، ولقد كانت الدهشة والسعادة تطفح في وجوه المستمعين الكثيرين ، والاساتذة ، والطلاب ، في جامعة الأزهر عندما سمعوا شخصية كبيرة في الكنيسة ، ومن أعلى مراتب الكنيسة الكاتوليكية يعلن بدون أي تحفظ الطابع المطلق والأساسي للايمان باله واحد .

ونحن لا نقول بأن على المسيحي أن ينسى ايمانه باسرار الغيب ، بكل اسرار الخلاص ، بل ربما كان عليه أن يعيشها كلما تمكن من ذلك ، وان يحرص على البوح بكل ما يحمله في قلبه ويدور في خلده ، وليست هذه خطة ، أو مناورة تكتيكية ، بل هي تعني أن يكون الانسان صادقاً مع نفسه ، وأن يظهر احتراماً حقيقياً تجاه من يحاوره ، إذ هو يحدثه بلغة لا يسيء سماعها وتفسيرها . وبالاضافة إلى هذا فإن الحساسية المسيحية ، في هذه الايام خاصة ، تسير في

طريق التقليل من اهمية سر الاله الواحد ، المتعذر سبرها ، مع معرفة المسيحي للعيش طبقاً لمتطلبات ايمانه فإنه يستطيع أن يدفع بمحاوره وصديقه المسلم إلى تحديد وتأكيد الايمان المسيحي بالتثليث والتجسيد ، وذلك من خلال التأكيد الشامل بوحدانية الله الخالق ، ولكي نتمكن من ذلك ، فإنه من الضروري أن نكون اكثر حذراً ويقظة واحتراما ، في طريقة حديثنا عن أسرار الاله الواحد والمثلث في آن واحد ، ولهذا يجب أن نعالج موضوع الله من خلال الله ، مهما كانت درجة الالفة الحميمة والصداقة الخالصة التي يدعونا اليها .

واثباتا لهذا نستشهد بما ورد في القرآن الكريم وخاصة في (سورة الانعام) ـ الآية ٩١ ـ ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء ، قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم ، قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ .

وفي (سورة الحج) ـ الآية ٧٤ ـ

﴿وما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز﴾ .

و(سورة الزمر) ـ الآية ٦٧ ـ

﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ .

د ـ الكنيسة كما يراها المسلمون :

ولكن هناك سابقة قد تؤدي إلى وضع العقبات في وجه الحوار الحقيقي . وهي سابقة عارضة ترتبط بظروف تاريخية ، ولكنها تثقل

على هذا الحوار . فالمسلم ، نتيجة لتراثه الديني ، ينظر إلى المسيحية من خلال دمجه القضايا الروحية والزمنية . ولقد سبق ان وجدنا هذه الصعوبة من خلال وجهة نظر المسيحي وتفهمه للاسلام ، ونعود هنا فنجدها كما لو كانت تشكل عائقا وحاجزا أمام التفهم الاسلامي للمسيحيين .

سوء التفاهم والتشويش

أن المسلم يفهم الكنيسة تلقائياً ، كمؤسسة دينية وسياسية في آن واحد . ولسوف يحترم التأكيدات والتمييزات التي يقدمها محاوره المسيحي ، ولكنه يظل يعود في أعماقه إلى أحداث تاريخية تخطىء المسيحيين . خصوصا إذا ما بدأ هذا التميز يتناول المسيحية والعالم الغربي ، ذلك أن المسلم يرى فيهما اسمين مترادفين ، وهذا ما يؤدي إلى لوم المسيحيين لسلبيتهم وجودهم بل لتواطئهم ومشاركتهم في مظالم العهد الاستعماري وجوره ، كما يلومون الكنيسة بانها أوفدت البعثات التي كانت تحميها اليد العلمانية الطولى .

وصدرت احكام من هنا ومن هناك ، ومن هذا وذاك ، ضد الاسلام ، ولكن الشعوب المسيحية بدأت تنسى في أيامنا هذه تلك الأحكام ، إلا أن المسلمين لم ينسوها .

فالمسلم يحترم المسيحي كما هو ، ولكن لديه كثير من اللوم والعتاب يوجههما للعالم المسيحي وللكنيسة التي تشكل جزءاً من كل ، من هذا العالم ، في نظره .

وهناك مصدران لسوء التفاهم يظهران بانهما يغذيان هذا الموقف .

أ ـ على الصعيد الدنيوي :

كثيرون من محاورينا لا يفهمون أنه ، خارج نطاق قواعد وأصول الايمان ، بامكان المسيحيين أن يعتنقوا آراء مختلفة بل ومتعارضة . وهم يرون أن وحدانية المعتقد الديني يجب أن تنعكس على الشؤ ون والقضايا الدنيوية .

وليس من النادر أن نرى كثيراً من المسلمين وممن لهم شأنهم يصدمون تجاه الخيارات التي يتخذها بعض المسيحيين ، أو أنهم يسندون للكنيسة كلها آراء وافكارا هي من صنع بعض الأفراد أو بعض الجماعات . لذلك من المستحسن أن نوضح الحقيقة لمحاورينا ، من خلال التأكيد على التمايز التقليدي الروحي والزمني ، مع التشديد والتأكيد على الحق الأساسي في الحرية الشخصية ، والتعبير عنها بواسطة وسائل لا نلزم فيها الايمان ولا نورطه .

ب ـ على الصعيد الروحي :

وهذا التمييز يؤدي بنا إلى تمييز آخر ، اكثر اهمية ، بين الكنيسة والمسيحيين والعالم المسيحي : فالكنيسة هي استمرارية السيد المسيح وشعب الله ، وهي التي تنطق بالحقيقة . والمسيحية هي انعكاس لهذه الحقيقة في قلوب المؤمنين . أما العالم المسيحي فهو مظهرها الدنيوي والزمني ، بكل ما يشتمل عليه من اشعاع القديسين ومن الواجبات المفروضة في الحياة اليومية المستمرة ، وبكل ما يحمله من ثقل الاخطاء الناجمة عن ضعف وعدم تلاؤم انسانيين .

وقبول هذه الأنواع الثلاثة من التمييز والتفريق ، سيكون اشد

مشقة على المحاور المسلم ، مما هو التفهم الصحيح للاسلام ، كدين وامة ، ومن حيث الاندماج العضوي للروحي والمادي الذي يتج عنه ، بالنسبة للمسيحي .

وبالفعل فإنه توجد في اذهان الكثيرين بلبلة ، أو ترابط في المجالات الثلاثة هذه . . ويميل المسلم ألى تحميل الكنيسة دوما موقف بعض المسيحيين الفاضح والمشين احيانا، وعلى الغالب فإن بعض التطبيقات الدينية لدى بعض الأوساط التي تصبغها عادات شعبية فولكلورية ، أو بقايا معتقدات وهمية وخرافية ، تدعو المسلم لأن يعزو للمسيحية مواقف وآراء تزيد من قوة افكاره المسبقة ، وآرائه المتعصبة حيالها .

النزعة النبوية للكنيسة

ونشير هنا إلى أنه من الصعوبة بمكان ، لأي إنسان من الخارج ، أن يتصور ، بدقة ، حقيقة الكنيسة من خلال انعكاساتها في العالم وفي تاريخ البشرية ، ومن المستحسن كما يبدو لنا ، لكي نوضح ونفهم طبيعة الكنيسة بأن نحدد موقعها في مجال الدعوة النبوئية لجميع البشر ، ذوي النيات الطيبة ، والتي تبشر فيها بالوحدة وبتقدم وانطلاق القيم الاخلاقية ، وبوحدة الاله ، ونقترب هنا من الصيغة التي اقرها المؤتمر الكنسي الثاني ، إذ يفسر الكنيسة بانها سر الانقاذ الشامل . ونسارع هنا إلى القول بأن عدداً كبيراً من المثقفين المسلمين يرون في الكنيسة ضمانة اخلاقية ويقدرون بياناتها : كالرسائل البابوية ، والرسائل الرعوية ومبادراتها الاخوية للمساعدة والرعاية والدعوة إلى السلام والعدالة ، وهؤلاء يعرفون كيف يميزون بين حياة

المسيحيين ، والمثل العليا ، وتعاليم الكنيسة ، ولكنهم يميلون في اكثر الأحيان إلى اعطاء واضفاء نوايا سياسية لبعض الأفعال ، ولبعض البيانات ، وهي في أذهان كتابها ومنشئيها ذات طابع ديني بحت ، يستعملونها في هذا المعنى والسياق فقط ، ويجب أن لا ندهش من هذا ، لأن مثل هذه النظرة ليست مشتركة لدى المسيحيين ، خاصة في الأوقات العصيبة .

اللامبالاة لدى المسيحيين

ودورنا في هذه الحالة لا يتطلب منا اللجوء إلى الحجج والبراهين ، وهي غالباً ليست مفيدة ، بقدر ما يتوجب اثبات وتأكيد الايمان الذي نعيشه ونضعه في خدمة الآخرين في إطار من التجرد التام . وفي هذه الأيام فإنه من الصعب جدا على المسلم أن يعتقد ويؤمن بالتجرد السياسي التام لدى المسيحيين . . وهل يمكننا أن نتحدث عن تجرد مسيحي بمثل هذه البساطة وهذا الصفاء ؟

إن هذا الوضع يشكل عقبة أساسية في وجه كل حوار . والمسلم مستعد دائماً لأن يرى في الحوار قناعاً للتبشير والدعوة ، وبالتالي فإننا نجده يرتد إلى مجال المساجلة ، أو على الأقل ساحة الدفاع عن معتقداته .

لذلك فمن الضرورة بمكان ، أن لا يكتفي المسيحي بتأكيد تجرده ، ولكن عليه أن يعيشه في أعماق نفسه ، وعليه أن يقدم نفسه لصديقه المسلم بكل وضوح ، ودون أن يقلل اطلاقاً من ايمانه وتمسكه بموجبات تعاليم الانجيل ، بالاضافة إلى كونه مهتماً ومهيئاً ، وقبل كل شيء ،

للاستماع إلى ما سيقوله له هذا الانسان الآخر . ومن الممكن أنه إذا ما أيقن المسلم بأن محاوره يتقدم منه ليتعرف عليه كما هو وكما يريد أن يكون ، من الممكن في هذه الحالة أن تبرز رغبة مماثلة في ذاته الداخلية . والحوار لا يعني بالضرورة أن تكون متفقاً أو موافقاً ، ولا يعني أيضاً اعتناق لغة مشتركة ، ولكن على كل واحد ، أن يعرف كيف يحترم الآخر ، حتى من خلال الاختلاف معه ، أو عدم موافقته معه على هذه النقطة أو تلك ، وعلى كل واحد أيضاً أن يعرف كيف يفهم لغة الآخر بكل ما فيها من خصوصية ونوعية . والحوار ليس صرخة عاطفية ، انه نتيجة ذكاء وعمل من أعمال الفطنة ، وأولى المهام المطلوبة والمفروضة هي أن نكون واضحين في التصور الفكري ، لكل منا تجاه الآخر ، وأن نبعد الأفكار المسبقة ، والآراء المنحازة ، وأن نصحح الأفكار المغلوطة ، ولا يمكننا أن نلتقي بصدق واخلاص ، الا في اطار الحقيقة ، والحقيقة وحدها .

الفصل الخامس

آفاق الحوار الاسلامي المسيحي

سنعمل في هذا الفصل على ابراز كيف أن الحوار ، كل حوار ، ولو كان على المستوى الدنيوي ، مدعو لأن يصبح حوارا روحيا ، ذلك أن كل عمل انساني إنما يطرح بالفعل تصوراً ما عن الانسان وعلاقاته مع المجتمع ومع الله ، ولا مفر من أن يثير يوما ما ، هذه القضايا الاساسية ، قضايا الوضع البشري والذي تحدثت عنه وثيقة المؤتمر الكنسي بتساؤ لها : من هو الانسان ؟ وما هو معنى الحياة وهدفها ، ما هو الخير ، وما هو الاثم ؟ وما هو أصل الألم ، وما هي اهدافه ، وما هي طريقة الوصول للسعادة الحقيقة ، ما هو الموت ؟

ما هو الحكم الالهي ، والثواب والعقاب،وما سر الغيب الذي لا يوصف او يناقش ، والذي يحيط بوجودنا ، ومنه نعرف اصلنا ، والذي اليه نسير ونتوجه ؟

إلى مثل هذه القمة يجب أن يتجه كل حوار ، حتى ولو ظل يدور لفترة طويلة عند مستويات أقل سموا أفلا يتناسب هذا التوجه مع انتظار العالم الحالي ، ومحاولته الحصول على الأجوبة التي تتطابق مع اماله وامانيه ؟ ويؤ كد المجمع الكنسي :

« إن الجنس البشري ، ينتقل ويتحول من مفهوم توازني لنظام الأشياء إلى فكرة ومفهوم أكثر فعالية وتطورا . ومن هنا ينشأ ، وعلى أوسع نطاق ، علم جديد ، علم طرح المشاكل الذي يحضّ على القيام بتحليلات وصيغ جديدة .

وهذه القضايا يمكن تجميعها حول مظهرين أساسيين للنزعة الانسانية ، وهما مرتبطان ببعضها ، بشدة وبعمق : تطوير الانسان ورفع مستواه ، واقامة مجتمع أكثر تآخياً . وهاتان المسألتان هما مسألتا عصرنا وتطرحان نفسيهما علينا ، كما على الاوساط الاسلامية . ومن المفيد أن نشير ، إلى أننا كلنا نواجه في العمق نفس المشاكل والقضايا .

١ ـ تطوير الانسان

إن تطوير الانسان يعني في الأساس أن هذا الانسان ، لكونه من جهة حراً ، ولارتباطه بغائية تفوقه من جهة ثانية . إنما هو ملتصق بكيانية أو بمذهبية ما مهما تكن ، ولذلك فلا بد ان يكون المبدأ والموضوع ، والغاية ، لكل مؤسسة من المؤسسات .

وهذه العقيدة الأساسية تهيىء لنا أساسا عريضاً ، مشتركا ، للتحاور بين المسيحيين والمسلمين . بالاضافة إلى أنها تضع الحوار امام آفاق واسعة للتجدد . والحديث عن تطوير الانسان ، ألا يعني التأكيد على أن حاضرنا لا يعيش في ماض يجب علينا أن نحافظ عليه مهما كلف الثمن ، بمقدار ما هو يعيش في مستقبل ، تفرض علينا ظروف الحياة العصرية أن نعد لبنائه ؟

إنه برنامج واسع مطروح للحوار ، وهو برنامج حسّي ، يمكنه أن يحملنا على تناول قضايا هامة ، من جملة قضايا أخرى ، طالما دار النقاش حولها ، كدور الانسان في المجتمع الحالي ، ودور العائلة ، ودور العلاقات بين الثقافات المختلفة .

أ ـ الانسان في المجتمع الحديث

إن الأفكار والملاحظات حول هذا الموضوع يمكن أن تكون غزيرة . وباستطاعة المسلمين والمسيحيين أن يفكروا معاً ، في مفهوم الانسان ومفهوم المجتمع وعلاقاتها المشتركة والوسط الذي يعيش كل من الفريقين فيه . وهؤلاء وأولئك سيتعلمون كثيراً من طريقة رؤ يتهم وتأملهم في مكانة الانسان من المجتمع ، في الحرية التي يجب الاعتراف بها ، خاصة في البنيات الاشتراكية .

ويجب أن لا نخشى من الغوص في هذا المجال ، في تفاصيل الحياة اليومية ، وأن نواجه بصراحة النواقص الخطيرة التي تصيب الانسان بالعمق ، والتي لا يخلو منها مع الأسف أي مجتمع . ولم يتردد البيان الكنسي في ايراد بعض الأمثلة الحسية التي تلفت الانتباه ، إلى بعض الأعمال والممارسات التي تشكل اهانة واذلالاً وتشويهاً للانسان ، ومن هذه الأمثلة : « كل ما يتعارض مع الحياة نفسها . . كالاجرام والقتل والإبادة الجماعية والاجهاض ، وقتل من يشكو من مرض يتعذر شفاؤه ، والانتحار المتعمد ، أي كل ما يشكل انتهاكا لسلامة الانسان ، كالتشويه وبتر الاعضاء ، والتعذيب المادي والمعنوي والاكراه النفساني ، وكل ما يمكن أن يشكل اهانة لكرامة الانسان كالعيش غير اللائق والسجن الاعتباطي ، والنفي ، والابعاد ،

والرقيق ، والبغاء ، والدعارة ، وتجارة النساء والأطفال ، وشروبط العمل المهينة والمذلة التي تنتقص من قيمة العمال ، وتجعل منهم مجرد أدوات للانتاج ، دون أي مراعاة لشخصيتهم الحرة والمسؤولة . كل هذه الممارسات وما يشابهها هي وبحق اعمال مشينة » .

ويمكن للمسيحيين والمسلمين أن يجدوا في كل هذا مادة للتأمل والتفكير ، كما يمكنهم أن يجدوا فيها مصدراً لاقتراحات توحد جهودهم ، من أجل إصلاح المجتمع الانساني، ونصرة المبادىء وتأمين وسائل العمل ، التي تحترم « شرف » الخالق ، في المخلوق . وإنطلاقاً من هذه الأمثلة يمكن بسهولة أن نفسر الدور الاساسي للانسان في المجتمع ، وأن نضع ونحدد الأسس التي تستند عليها كرامة كل انسان .

ب ـ العائلة والتطور الحالي للعالم

إن العائلة هي البنية الأولى المؤتمنة على قيم المجتمع ، وعلى أعلى القيم التي يطلق عليها اسم الحياة والمحبة . انها مركز التقاء الاشخاص الذين يتبادلون العون والاحترام والمحبة . وهي ملتقى الاجيال المتعاقبة ، المدعوة لأن تعيش مع بعضها بانسجام تام . وهي ، حسب تدبير العناية الالهية ، الحاضنة والمربية الأولى للضمير وللايمان .

ومشاكل العائلة متعددة : تربية الأطفال وتعليمهم ، وتنظيم الولادات ، الانسجام الزوجي ، اختيار الزوجات والخطيبات ، والمشكلة الرئيسية التي هي تطوير المرأة . . . وليس من الضروري الاستمرار في تعداد واحصاء هذه القضايا ، والقراء الذين كانت لهم

علاقات صادقة مع المسلمين يعلمون جيداً كيف أن حدة هذه المشاكل تخف في الحياة اليومية لكل منا ، وفي الحياة الاجتماعية .

ولا بد من الاشارة بشكل خاص كم أن العائلة المسلمة تختلف عن العائلة الغربية . فلا يزال معظم المسلمين يحافظون بشدة على المفهوم الأبوي للعائلة ، الأمر الذي يوفر العديد من المزايا التي تستحق الاحترام : كالتضامن والتعاون الذي يتجاوز الحدود الضيقة للعائلة ليشمل على روح عائلية أوسع وأرحب . مما لا شك فيه أن هذا الوضع أصبح يميل لان يتعدل ، لجهة فردية عائلية ذات طابع غربي ، وليس هذا بالأمر الحسن دائماً .

وتبادل الأراء حول هذا الموضوع يتسم بالاهمية وباتساع المجال . فالمسلمون متلهفون لمعرفة وجهات نظر المسيحيين وآرائهم . وهم يتمنون تطور العائلة في مفهومها التقليدي والمتعارف عليه ، والزواج المسيحي يثير في نفوسهم اهتماما يتجاوز الفضول وحب الاطلاع البسيطين، ولكن مع الأسف فإن الأمثلة والأقوال التي ترد على لسان بعض اخواننا لا تشجع إطلاقاً هذا التطور الذي يعمل على احترام كرامة الأشخاص .

ولسوف نعود مرارا في هذا المجال إلى بحث موجبات المحبة المسيحية في قضايا الزواج ، والانحرافات التي تتحملها وتعاني منها في حضارة تميل إلى اعتناق مذهب المتعة ، واعتبار أن اللذة هي الخير الأوحد والرئيسي في الحياة ، بينما الحقيقة هي أن حياة الأسر المسيحية النموجية ، وحدها التي تؤدي إلى تحسين وتطوير النظرة والمفهوم للحياة العائلية الاسلامية .

إنه لمن المؤسف حقاً ، أن يصار خلال هذه اللقاءات بين المسلمين والمسيحيين ، إلى الحط من شأن المفهوم الابوي للعائلة بذريعة الحفاظ على حرية الاشخاص والازواج ، ولذلك لا بدّ من التوصل إلى مفهوم وسطي يوجد توازناً عادلاً بين الانسان والعائلة بمفهومها الواسع . وإذا ما أمكننا أن نفكر حقاً حيال هذه المشكلة ، مسلمين ومسيحيين يمكن أن نجد لأنفسنا ولحسابنا قيماً ضائعة ، وبالتالي يمكننا أن ننبه محاورينا إلى الأخطار والاخطاء التي تحملها الينا النزعة الفردية الغربية .

جـ ـ العلاقات بين الثقافات

كل ثقافة هي تعبير عن الشخصية الاجتماعية لأي شعب . ومن هذا المنطلق فإن كل فرد ، كل انسان يستحق التقدير والاحترام بالتساوي مع أفراد هذا الشعب .

وكل الثقافات تحتوي على ما يمكننا أن نتعلم منه ، وجميعها في لقائها مع الثقافات الأخرى تثري بعضها بعضاً ، وهذا التبادل الثقافي من شأنه أن يساعد ويشجع التقارب واللقاء ، ولكن يجب أن لا يتجه نحو التوحيد الثقافي ، فالاصالات الثقافية الخاصة يجب أن يحافظ عليها ، لأنها تشكل الثروة المتعددة الأشكال للعائلة الانسانية وتراثها .

وهنا أيضاً يرسم لنا المؤتمر الكنسي طريقاً للسلوك عندما يعلن :

« إن كل ما تشتمل عليه المؤسسات المختلفة جداً ، والتي أقامها

وما يزال يقيمها الجنس البشري ، من قيم الجمال والخير والعدل ، فإن الكنيسة تنظر إليه نظرة كلها احترام وتقدير » .

حتى داخل العالم الاسلامي تتعدد الثقافات . فهناك الثقافة العربية التي نجدها في كل مكان ، وعلى مستويات متعددة ، من خلال اندماجها وتداخلها في الفكر والتطبيقات العملية الاسلاميين ، وتوجد من ناحية اخرى ثقافات غير عربية ، لكل منها عظمتها ورونقها . ويجب أن نضيف هنا إلى أن الثقافة الحديثة التي يرعاها الغرب وتتسرب إلى انحاء العالم كله ، والقضايا التي يثيرها لقاء هذه الثقافات المتعددة ، هي عديدة ومعقدة ، وعلى كل منا أن يرى كيف يمكنه أن يخدم أي شخص من شركائنا في إطار احترام تراثهم الثقافي .

ونحب فقط أن نلفت الانتباه إلى لقاء الثقافة التقليدية بالثقافة الحديثة ، ذلك أن هذا اللقاء يشكل احد المواضيع الأكثر إثارة للاهتمام ، في الحوار . والفكرة التي يجب أن تلهمنا في هذا المجال ، عبر عنها بوضوح بيان المؤتمر الكنسي ، من خلال ملاحظاته حول دور الغربيين الذين يعملون ويتعاونون من أجل تنمية وتطوير العالم الثالث ، فيقول البيان :

« إن الحضارة التي كونت هؤلاء العاملين المتعاونين ، تحوي ولا شك نزعات انسانية عالمية ، ولكنها ليست وحيدة أو محصورة ، لذلك لا يمكن استيرادها بدون تكييف وملاءمة ، ويشعر هؤلاء بتوق إلى اكتشاف العناصر والثروات التي تتكون منها ثقافة البلاد التي تستضيفهم، وبالتالي فإن تقاربا سيتم ويزيد هذه الحضارة وتلك غزارة وخصوبة » . ومع تطبيق هذه التوصية يجب أن ندرك بأن المسلمين ،

وخاصة الذين منهم يحملون تراثا تاريخيا عريقاً، إنما هم يعلقون اكبر الأهمية على ثقافتهم وتقدمها . وكثيرون منهم يتمتعون بمستوى ثقافي يعادل مستوى الغربيين . وإذا كنا نجد سهولة في الاتصال بهؤلاء غير أنه يجب علينا أن لا نهمل أنصار ومعتنقي الثقافة التقليدية . ومن شأن هؤلاء كما من شأن الآخرين أن يعلمونا النزعة الانسانية التي ما تزال تحتكم المجتمع الاسلامي . وبالاضافة إلى ذلك فإن اكثرية الدول الاسلامية التي حصلت حديثا على استقلالها ترى ضرورة تطوير ثقافة وطنية ، تعيد إحياء تراث الماضي ، مع الانفتاح على الثقافة الأكثر شمولية للعالم الحديث .

ومن خلال هذه الامكانية ، وفي ظل احترام الخيارات الوطنية ، والأصالة المشروعة لكل شعب ، يجب أن ينطلق المسيحيون المدعوون إلى العمل لتنمية ولتطوير الثقافتين في البلدان الاسلامية .

ويحتل المسيحيون الذين يعيشون وسط مواطنيهم المسلمين ، مكانة مرموقة ومختارة في هذا المجال ، إذ انهم ينتمون إلى نفس عرق وجنس هؤلاء المواطنين ، يتقاسمون معهم نفس الثقافة ، ويشاركونهم نفس الآمال والأماني . وعليهم ، اكثر من غيرهم ، ممن قد يشعرون بكونهم اجانب وغرباء ، أن يندمجوا في ثقافة البلد ، وفي خدمة التنمية ، بالعمل ، من خلال وحدة تامة مع اخوانهم المسلمين ، على ازدهار ونجاح وطنهم في المجالات الثقافية والروحية والمادية .

وقد رأينا سوابق لهذا الحوار في الماضي البعيد بين المسلمين والمسيحيين . وكان ذلك في دمشق وقرطبة ، في القرنين الثامن

والثاني عشر ، وفي القرن التاسع عشر ، في منطقة الشرق الاوسط ، وهو يستمر باشكال مختلفة ومتعددة ، ونتمنى من الصميم أن يتطور إلى الأحسن ، وأن يشمل جميع أنحاء العالم حيث تلتقي المسيحية والاسلام .

ولا يمكننا التأكيد أكثر من هذا على أهمية الحوار الثقافي الذي يتشكل من خلاله مفهوم جديد للأجيال القادمة حول الانسان والمجتمع ، ولا يمكن أن يغيب عن هذا المفهوم لا المسيحيون ولا المسلمون ، وتعاونهم لا يمكن الا ان يخدم الثقافة بدفعها ومساعدتها لأن تصبح اكثر تعبيرا عن الانسان في علاقاته مع الآخرين ، ومع الله .

ثانياً : إقامة مجتمع اكثر « اخوة » .

هنالك قضيتان يثيران اهتمام عالمنا بشكل خاص ، وهما :

التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، والعلاقات بين الامم (الدول) . وتعتبر هاتان القضيتان من الآن وصاعداً كونيتان وترتبطان ارتباطاً وثيقاً ببعضهما . وجميعنا نعرف كم يؤثر الاختلال في التوازن الاقتصادي في منطقة ما من العالم ، أو البؤس المأساوي ، في إثارة الخلافات والنزاعات ، وفي الاساءة إلى العلاقات بين الأمم ، ونحن نشعر كم أن السلام أصبح ضرورياً وملازماً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأمم ، وخاصة لدول العالم الثالث .

ومسؤوليتنا كمسيحيين ملتزمة إلى حد كبير بهذه القضايا كلها ، وقد تصبح اكثر ثقلاً واضخم وزناً ، في المستقبل القريب ، وذلك كلما

توسعت الهوة وتعاظمت الفوارق بين الأمم الغنية والأمم الفقيرة ، ويبدو أن هذه الفوارق لن تزول ، وهذه الهوة لن تنردم ، على المدى القريب ، وبالتالي ، يجب أن نعترف كم أن الغرب قد تأخر وتباطأ في اتخاذ التدابير والوسائل المناسبة .

وتجاه حالات كهذه ، فإننا نشعر ، نحن كأفراد بحد ذاتنا ، وبدون وسائل الثروة ، كما أننا عاجزون . وكم أن هذه المشاكل تتجاوز قدراتنا . ذلك أن الحلول الفعالة لا يمكن أن تتوفر إلا من خلال اتفاقات وتفاهم بين الدول ، ومن خلال تآخي كل الشعوب لا بعضها فقط .

وهل يعني هذا أن نبقى على هامش هذا التحرك الضخم الذي يدفع الأمم نحو التقدم الاجتماعي والاقتصادي في إطار السلام ؟ نحن لا نعتقد ذلك ، بل بالعكس فاننا نرى انه بالرغم من فقرنا في الوسائل الدنيوية ، يجب علينا أن نبرهن عن فكر قادر على تشجيع التنمية المتكاملة والمنسجمة : إن تنمية الشعوب وتطورها ، مثلها مثل العمل على توطيد السلام ، إنما تمرّ من خلال الحوار .

المسؤولون عن الحوار

نحن نرى أن العلمانيين ـ أو المدنيين ـ بشكل خاص ، الملتزمين بالتنمية اكثر من التزام الكهنة ورجال الدين بها ، هم الذين يجب عليهم أن يتحملوا مسؤولياتهم ، وعليهم أن يؤدوا واجباتهم ، من خلال احترامهم لاستقلال وسيادة البلاد ، التي يعملون فيها وتستضيفهم ، مع الأخذ بعين الاعتبار درجة تطور كل بلد . وعلى المواطنين الأكثر حيوية ونشاطا في هذه البلدان ، أن يعرفوا كيف

يجدون في المسيحيين ، على الأقل ، من يستمع اليهم ويتفهم مشاكلهم .

وبين هؤلاء المسيحيين من يتقاسمون نفس ظروف الحياة مع المسلمين وينتمون إلى نفس الثقافة ، ونفس المعرفة . وعلى هؤلاء تقع مسؤولية المساهمة والمشاركة في البناء ، وان يكونوا ، هم ، العناصر الرئيسية لهذا الحوار في بلدهم .

أما المسيحيون ، الغرباء والذين جاؤوا من اجل التعاون ، فيجب عليهم أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه الأولوية . فعوضاً عن ان يتدخلوا في المناقشات بشكل مستقل ، عليهم الاهتمام قبل كل شيء بأن يشركوا اخوانهم المسيحيين في هذا الحوار ، وأن يتركوا لهم حرية المبادرة ، ويبذلوا الجهد لكي يعطي هذا التبادل احسن الثمار . ومن الضروري بشكل خاص أن يظهر المسيحيون في البلاد الاسلامية بمظهر المواطن الذي يتمتع بكامل حقوق المواطنية ، ويتحملوا بالتعاون والمشاركة مع مواطنيهم المسلمين كل مسؤولياتهم .

ما هو موضوع الحوار ؟

في الرسالة البابوية التي اذاعها قداسة البابا عن تقدم الشعوب ، عرض قداسته بوضوح الأهداف والوسائل التي تؤدي إلى تنمية الأمم وتطورها انسانياً ، كما أوضح واجبات الدول الغنية تجاه بلدان العالم الثالث ، ورسم برنامجا متكاملا لاعداد وتنظيم حقوق التملك والملكية ، وكيفية استغلال الموارد ، والدخل ، والتدريب المهني ، ومحو الأمية ، والتربية العائلية ، والتنظيم المهني ، والنقابي ، ومكافحة الجوع والمرض ، وتحدث عن الاتفاقات الدولية التي يمكن

أن تنظم كل هذا ، وليس في هذا سوى لمحة سريعة واحصاء أولي ، يعطينا فكرة عن هذا البرنامج الضخم لاقامة الحوار .

ولكن هذا البرنامج لن يكون اكثر من واجهة جميلة ، إذا لم تسنده وتؤيده دائماً روح تحركها الاخوة الأكثر اصالة ، وفي هذا المجال ، يمكننا أن نلعب كمسيحيين دوراً هاماً .

وعلينا أن لا نتسرع ، ونعتقد بأن الشعوب الاسلامية التي تمتاز بمفهوم ديني حقيقي ، لا تنتظر من المسيحيين سوى بعض العون والمساعدة والنصائح ذات الطابع التقني . مما لا ريب فيه فإن المزايا والقدرات المهنية هي ضرورية كل الضرورة ، ولكنها تبقى محصورة ، ومحدودة في نتائجها ، إذا لم تكن تشجع وتدفع إنطلاق الانسان ونهضته في المجتمع . ولهذا يتوجب على المسيحي أن يكون في عمله مثالاً لحقائق اكثر سموا : لأن الانسان لا يعيش فقط بالخبز . وحضارة التمتع بالملذات والتسلية ، وملء الفراغ لا يمكن أن تملأ طموحاته القلبية . إن الغاية الأساسية للتنمية هي خدمة الانسان ، الانسان ككل ، وفي كل مكان ، وفق افضلية حاجاته المادية ، وبنفس القوة وفق متطلبات حياته الثقافية ، والمعنوية ، والاخلاقية ، والروحية ، والدينية .

من أجل المجتمع الأخوي

إن هدف الحوار ، وقد ذكرنا ذلك فيما سبق ، هو الوصول إلى مشاركة ، ووحدة الشعور بين الشريكين ، ويمكن تحقيق هذه المشاركة ، وهذه الوحدة في الشعور ، بواسطة التآخي في إطار السلام . وفي عالم يسوده التمزق والانقسام نتيجة الصراعات

العنصرية والعرقية والسياسية والعقائدية ، يجب علينا أن نعمل ضمن إطار مستوياتنا على اقامة الأخوة بين من نعاشرهم ونختلط بهم .

إنها الروح هي التي يجب علينا أن نوقظها . إذ أنه أمام الأخطار التي تهدد الانسان لا يمكن أن نبحث عن الاغنياء وعن الفقراء ، عن المسلمين والمسيحيين ، عن المؤمنين وغير المؤمنين ، ولكن علينا أن نبحث عن اشقاء ، بامكانهم أن يمدوا ايديهم ، بعضهم إلى بعض ، من أجل انقاذ الانسان ، وإعادته إلى وضعه الطبيعي ، في مجتمع اكثر عدلاً ، واكثر اخوة . ونجد انفسنا ، نحن وهم ، امام نفس المشاكل ونفس الأخطار ، وهذه الحالة الجديدة توحدنا بشكل اعمق عندما نؤمن بالله الواحد، والذي نعلن دوما خضوعنا لأوامره ونضع انفسنا في خدمته .

وها نحن ، نعثر معاً على قاعدة مشتركة ، للانطلاق في مسيرة مشتركة ، إلى الامام ، ويجب أن نؤمن أن المسيرة في الليل لا بد وأن يتبعها فجر ساطع . فالحوار ليس عمل بر واحسان ، انه يحمل في طياته الأمل الكبير .

ويجب أن لا نفكر اننا من خلال هذه الأفكار والتأملات حول رفع مستوى الانسان ، واقامة مجتمع أخوى ، قد غيرنا مسار الحوار الديني ، أو الروحي إلى المجال المادي ، إذ لا يمكن أن يتم أي حوار إذا لم نستند فيه ونرجع إلى المطلق : إلى الله . وهذا الاستناد إلى المطلق ، وإلى الله ، يجب أن يشعر به المسيحي في كل مراحل حياته ، والمسلم كالمسيحي قادر على ادراكه . بل إنه قد جعل منه ، إحدى دعائم ايمانه .

ولهذا السبب فإن المسلمين والمسيحيين يلتقون في البحث عن المعنى العميق للدعوة الانسانية ، وللوحي ، ويمكنهم أن يتحدثوا نفس اللغة ، عندما يعملون على ابراز أعلى واسمى القيم ، والدعوة لها من خلال ظروفهم الشخصية والاجتماعية ، وهذه القيم تتجاوز الانسان ، ولكنها تحدد غائيته وقصده النهائي . وهذه القيم لا توجد إلا في الذات الالهية في السموات العالية والتي ترتسم في قلوب من ينتظر الفجر ويترقبه . . . .

الفصل السادس

روحانية المسيحي الملتزم بالحوار

يحمل الحوار في طياته مؤشرات النبل ، ولقد ورد في كلام الله وفي ايماننا ، من ابراهيم عليه السلام إلى القديس بولس على طريق دمشق ، ومن مبدأ التجلي والبشارة ، إلى اعلان القديس بطرس ومجاهرته بايمانه . انه حوار واحد وموحد للاله المنقذ ، اله الخلاص مع الانسانية .

ويتم هذا الحوار ويستمر داخل الكنيسة ومن خلالها . والقديسون هم أبرز الشاهدين على ذلك ، كما رأينا ، كالقديس « اوغطينوس » دون أن نأتي على تعداد الآخرين ، ونحن ، الا نشارك بهذا الحوار بين الله والانسانية ، تارة بواسطة انتساب سريع على موافقة جماعية للدعوة الالهية ، وتارة من خلال صمتنا وترددنا ، ومن خلال تمزقنا وعودتنا للهداية ، وهذا يصبح مؤكداً عندما ندرس ونتفحص حياتنا الخاصة .

هذا الحوار مع الله ، في أعمق أعماق نفوسنا ، ليس سوى اختصار لهذا الحوار الالهي مع الانسانية . وتاريخ خلاصنا انما يدخل ضمن اطار خلاص البشرية ووفق شرائعه الالهية التي تقود

الشعوب المختلفة نحو عطاء الله المطلق للبشرية . ولقد كان آباء الكنيسة في العصور الأولى ، يستوعبون تماما هذه المسيرة الطويلة للنعمة الالهية في تاريخ البشرية وفي قلوب المسيحيين .

وقد يكون من الممكن اننا قد ابتعدنا ، وخاصة بعد هذه الفترة الطويلة من النضال الديني ، ومن الدفاع عن المعتقدات في الازمنة الحديثة ، عن الوجود المتحرك والفعّال لله في قلب كل امة ، وكل ثقافة . ومن المستحسن أن نعود لقراءة ما كتبه هؤلاء الآباء ، فنكتشف في المخطط الالهي ، تلك المسيرة الداخلية للنعمة الألهية ، خارج الكنيسة المسيحية المرئية .

من أجل روحانية منفتحة

مهما يكن ، فإنه لا يكفي أن تنكمش الرؤية الشمولية لعمل الله في نفوسنا ، من أجل خلاص البشرية وتقتصر على نوع من الاكتفاء أو الرضاء العقلاني ، فالقلب هو الذي يجب أن يمس ، ليصار أولاً إلى تمجيد الرحمة الالهية التي جمعت كل شيء في الوحدة ، وثانياً ، لكي تزداد محبتنا وتخدم البشر بشكل أفضل ، مهما كان ، هؤلاء البشر ، الذين وعدهم الله ، بدون أن ينتظرنا ، بنعمة الخلاص . وبالفعل يجب أن نعرف قراءة هذا العمل الالهي في ثقافة الآخرين ، وفي ديانتهم ، لا من منطلق « البحث عن الآثار الروحية » ، ولكن لكي نتمثل ذلك في ايماننا وحياتنا الروحية ، ويفترض مثل هذا الموقف النفسي ، أن تكون حياتنا الدينية وقيمها الروحية ، مستعدة دائماً لاجتياز الحدود الاجتماعية الموروثة . عن تقاليدنا وعن وسطنا ، ويجب أن يتم هذا الاجتياز بحكمة وذكاء وفطنة . فالحوار مع الآخرين ، وهو الذي يقع في مستوى الحياة المتدفقة ، يدعونا إلى

تجديد دائم من شأنه أن يجعلنا نخرج من الروحانية المتجمدة ، ذات الطابع الاجتماعي إلى حد ما ، لنعتنق روحانية اكثر حيوية ، وديناميكية ، والتي تبحث دوما عن آثار كلمة الله في الانسان . وعندما تمثل في حياتنا الروحية الشعور الديني للآخرين فإننا نساعدهم على اكتشاف آفاق جديدة ، وفي نفس الوقت نساعد انفسنا من خلال اللقاء بهم على التوصل إلى اكتشافات غير متظرة .

توحيد أهل الكتاب

هذا العنوان إقتبسناه عن أحد المسلمين فالعنوان الأصلي (œucumenisme des gens du livre) وهو يعني بالأصل النزعة إلى توحيد الكنائس والمذاهب المسيحية التي تتطلع إلى وحدة الشعور والمشاركة الفعلية بين بعضها وبعض . أما نحن فقد استعملنا هذا النص ، بالمعنى المجازي ، لرغبتنا في وحدة المؤمنين المنتسبين لديانات مختلفة ، ولكنها تجد جذورها في الأصول الدينية وخلفياتها وهي ، التوحيد الابراهيمي وتعتنق ديانات مختلفة ، ولكنها تجد جذورها في الأصول الدينية وخلفياتها وهي ، التوحيد الابراهيمي ،وتعتنق ديانات من وحي النبوة ، وأهل الكتاب هم المؤمنون بكتاب موحى به ومنزل .

ويمكننا أن نأخذ بعين الاعتبار غنى هذا الموقف ، من أجل الحوار الديني ، عندما نتفحص بعض المظاهر الأساسية للاسلام ، وللعقيدة المسيحية ، ويهمنا بشكل خاص أن نبرز كيف أن المؤمنين بالديانتين يستطيعون ، وعلى مستوى التجربة الدينية التي نعيشها بشكل فعال ، تعميق بعض المفاهيم والمظاهر الأساسية لحياتهم

الروحية ، والاتجاه نحو التقارب الموحد ، والذي يسهل تجاوب وجهات النظر ، التي كانت تظهر لنا حتى الآن ، انها متضاربة ، بل متعارضة . ولسوف نتناول بالدرس ، بشكل خاص دون أن ندعي القيام بتعداد شامل يستوعب كل المواضيع ، المواضيع التالية :علاقات المؤمن بالله . . كلام الله . . دور الانبياء . . فكرة الجماعة . . واخيراً الصلاة .

ويمكن اتباع طريقتين ، في دراسة هذه المواضيع . فإما أن نحللها بإبراز التناقض والتعارض بين ديانة واخرى ، أو ـ وهذا ما سنطبقه هنا ـ ان ندرسها ونتفحصها في عقيدة متجسدة في ذاتنا الداخلية ، وذلك من أجل استكشاف ـ كخط مرسوم بالنقط ـ كل ما يوصلنا إلى التقارب والتفاهم ، اللذين تدعونا اليهما افكارنا وتأملاتنا الشخصية والنعمة الالهية التي تريد توحيد الانسانية في جسد واحد .

والرغبة في توحيدالمؤمنين ليست غريبة عن الذهنية الدينية الاسلامية ، وهي ـ الرغبة ـ تستند إلى الايمان بالاله الواحد ، الدائم والرحيم . وهذا الايمان هو بلا شك الرباط الأصيل والقوى الذي يربط ويوحد اليهود والنصارى والمسلمين . وربما يكون المسلمون الذين نشاؤوا من خلال تقاليدهم ، في ظل معارضة شديدة لكل دين ، أو تعبير عن فكرة من شأنهما اضعاف التوحيد أو التعارض معه ، ربما أنهم اكثر وعياً منا لاهمية الوحدة التي تتواجد لدى البشر نتيجة ايمانهم بآله واحد ، وهذه الأخوة بين المؤمنين هم يعيشونها على أوسع نطاق في داخل امتهم ، ويجب أن لا يظن بانها مقصورة عليهم وحدهم ، وفي اكثر الحالات عندما يبدي المسيحيون واليهود شعوراً دينيا صادقا ، وعن قناعة ، فأن الاسلام يعترف لهم أيضاً ،

بالانتساب إلى مجموعة المؤمنين الكبرى ، ولكن مع بعض التحفظات الضمنية على القواعد الأساسية للمسيحية . وهنا نعثر على شعور تمليه الظروف ، خاصة لدى الذين يحملون ثقافة دينية اكثر تطوراً ونمواً ، إذ نكتشف فيهم الأماني الطموحة في تجميع وتوحيد المؤمنين ، في عائلة واحدة . وهذه الحيوية الكامنة في نفس المسلم ، إنما هي قيمة ، علينا أن نشارك فيها ، لأنها تلتقي بحقيقة الايمان المسيحي ، وهذا ما يشكل اختصارا للخليقة كلها وجمعها في جسم واحد .

ولندرس بامعان من خلال هذا الاحتمال المواضيع المتعددة التي ذكرناها آنفاً .

أولاً : الله اكبر . . . والله المحبة :

كما سبق وقلنا ، فإن المسلمين يؤكدون دون أي غموض أو التباس ، بقوة ، ايمانهم في السر الالهي ، الاله الواحد . والعلوم الدينية عندهم ، كالشعائر الدينية والتقوى الشخصية ، تصر على كونه : الله اكبر . الذي لا ينفذ اليه . ولا شريك له ، الواحد الأحد ، المطلق بدون حدود . وهذا ما يؤكده المؤمن . يؤكد الوجود الالهي ، وسيادة الاله المطلق على الخليقة ، وسلطته غير المحدودة عليها ، ويعترف بأنه يخضع له ، ولا يخالف له امراً ، وهذا التأكيد للعظمة الالهية المطلقة والتي يجعلها المسلم تستمد قوتها من وحدانية الاله ، ويعترف بارتباطه التام به وخضوعه الكامل له . كل هذا يشكل روح الاسلام .

والمسيحيون لا يشعرون اطلاقا بغربتهم عن هذا التعبير عن

الايمان ، فهم أيضاً ، يعترفون بالعظمة الالهية المطلقة ، والتي يعطيها الايمان باله واحد ومثلث ، وجودا عميقا ، ولكنهم يؤكدون في نفس الوقت وجود النعمة والمحبة اللتين تدخلان الانسان في خاصية الله ، كما يصرون ، بشكل خاص على هذا الوجه من الايمان ، وهو أساسي ، دون أن ينتقصوا من قيمة القدرة والعظمة الالهية التي يرتبط بها .

وبمقارنة سريعة بين هذين الشكلين في النظر إلى علاقات الانسان بالله ، يظهر، وعلى مستوى التفكير والتأمل العمليين ، شرخ يمكن بسهولة تبين معالمه .

وهكذا فإن المسلم يرى في الله ، بشكل خاص ، الخالق الذي يخلق ، والذي يخضع له الكل ، وكل شيء ، وهو المشرع المطلق الصلاحية ، الذي يأمر وينهي ويقرر . بينما يرى فيه المسيحي الأب الذي يتجه نحو الانسان بالمحبة الصافية . المسلم يلتمس الرحمة الالهية وينتظرها من خلال قرار الهي حر ، لأن الله يهدي من يشاء ، ويعاقب من يشاء . أما المسيحي فيرجو هذه الرحمة نتيجة محبة الله للبشر .

بالنسبة للمسلم فإنه يعترف بكونه عبداً لله ، والمسيحي يعترف أيضاً بأنه عبد لله ، ولكن الله تبناه بمحض ارادته الالهية .

بالنسبة للمسلم أيضاً، فإن الله العظيم القدرة هو قريب منه ، بل أقرب اليه من حبل الوريد ، ولكنه يبقى بالنسبة إليه الخالق الذي يتعذر الوصول إليه أو الدخول في خاصيته ، والقادر على كل شيء . بينما يرى المسيحي بأن الله بعظمته وقدرته وديمومته واصالته بالنسبة

للخليقة ، قد جعل نفسه قريباً من البشر يعيش معهم في وجود جديد ووحيد ، ولا يمكن لأحد أن يصل إليه في نفس الوقت ، وذلك لكي يشارك في تاريخ خلاصهم .

وكما نرى ، فهناك اكثر من خلاف في التعبير بين هذا وذاك . لأن المسيحي يؤكد وجود مودة مجانية بين الله والانسان ، ولكنها لا تستبعد الايمان بالخالق الذي يعبر عنه المسلم ، بل على العكس فأنه يفترض هذا الايمان ويدخله في افاق جديدة تماماً . وهذه حقيقة مبدئية وبسيطة ، نذكرّ بها . فهناك كثير من المسيحيين يميلون الى التفلسف « بالماورائيات » وينسون تماماً أنهم مخلوقون يخضعون كليا لله .

وفي المجال العملي ، لا يوجد تعارض بين الفكر المسيحي والفكر الاسلامي. بادىء ذي بدء ، وكما سبق وذكرنا ، فإن التأكيدات الواردة في الفكر المسيحي تفترض وتندمج إلى حد كبير في التأكيدات الواردة في الفكر الاسلامي . وإذا كان الله ، بالنسبة للمسيحي ، هو إله المحبة ، غير أنه يعترف بعظمته اللامتناهية ، وإذا ما دعي الانسان بابن (الأب) الكائن في السموات ، فإنه في الأساس وقبل شيء عبد ، ولكنه عبد لا جدوى منه . وإذا كانت الرحمة الالهية موزعة بسخاء ، فهي ممنوحة بشكل مجاني ، وبارادة الله الحرة .

وكذلك الأمر بالنسبة للمسلم ، فهو غير منغلق على الخاصية الالهية التي يعبر عنها الدين المسيحي ، بل إن تطلعاته تدفعه إلى اكتشاف ما وراء ما يمكن لعقله أن يكشف له . وهكذا فإنه يكتشف ، ما بعد الله الذي يأمر ويقرر، تفضيلاً إلّهياً للانسانية داعياً إياه لأن ينجز واجبات الشريعة ، وان يحب الخير الذي منحه إياه

الله . وإذا لم يعلن المسلم عن نفسه أنه الابن ، فذلك لأنه يجد من المستحيل تجريد هذه اللفظة عن مدلولاتها الجسدية ، غير أنه يعترف لنفسه بكونه العبد المختار لانجاز ارادات الله على الأرض والله الخالق الذي يسمو على كل مخلوق بما لا حد له هو بالنسبة له الرحيم الذي يحيط بكل وجوده ، ويضمه إليه بدون واجهة للأسباب الفرعية ، وبدون وسطاء .

ولهذا ، فإننا لا نرى ، بين الجانبين ، المسلم والمسيحي ، هوة سحيقة ، لا يمكن اجتيازها على مستوى الفكر الديني الذي يعيشه الطرفان . فالمسيحي يؤمن بكل ما يقوله المسلم عن الله ، ويميل المسلم ، وبشكل عفوي وفطري نحو الحقائق التي يعبر عنها المسيحي .وإذا ما استعدنا التميز المعروف يمكننا أن نقول طوعا أن روحانية القيم الدينية لدى المسيحي تصر على الماضي ، وعلى الذي لم يحدث بعد ، أو على وصفنا كعبيد ننتظر ، فإن المسلم بالعكس يضع نفسه دائماً على مستوى الحاضر والآني .

هذه الاعتبارات والملاحظات يجب أن تحملنا على إعادة النظر في التعبير عن روحية القيم الدينية المسيحية بما يتوافق مع الحوار . وبدون شك يجب أن نتمسك ، وبكل شدة بهاتين الحقيقتين : العظمة المطلقة ، والتلازم المتاصل ، وهما لا تتعارضان ، ولكنهما تتكاملان في إظار النعمة الالهية ومن المستحسن أن نستذكر أولوية العظمة المطلقة التي هي مصدر العطاء المجاني للنعمة الالهية . وإذا ما فعلنا هذا فاننا نفهم بشكل أوفى الابعاد اللامتناهية التي تميز عطاء الله للبشر . ونضيف هنا أنه يمكننا أن نشرح بشكل أفضل ، فنفهم المسلمين ذوي الاتجاهات الدينية العميقة ، كيف أن القدرة الالهية التي تقبلها قلبنا

ونزلت فيه ، تتواصل بالعطاء الالهي . وهذا ما تتطلع اليه نفوس المسلمين ، وهذا ما يجب التعبير عنه بالقيم الروحية المسيحية التي تضطلع بشكل ضمني ، وتحمل القيم التي يعيشها الاسلام في عبادة الله العلي القدير . ويمكننا أن نقترب من احسن ما لدى الآخرين بتقديم احسن ما لدينا مع التطلع دائما إلى التحقيق الكامل للرغبة الالهية والتصميم الالهي .

وهنا تكمن الروحانية المتشددة التي لا ترفض فحسب التعبيرات الجارحة والمزعجة التي توحي بها الدالة الانسانية مع الله ، أو التصرف الديني الطفولي ، الذي لا مبرر له ولكن هذه الروحانية تضع الانسان أمام حقيقة كونه إنساناً بالغ الرشد، وعبداً يخضع أمام عظمة الله .

ثانياً ـ الكتاب وكلام الله

لقد خاطب الله البشر. هذا هو فعل الايمان الذي يردده المسلمون والمسيحيون ، ويرون فيه القاعدة الأساسية لديانتيهم . ويؤكد المسلمون أن الله قد انزل على هؤلاء وأولئك شرائع وقوانين ، لأن المشركين والملحدين لا قوانين ولا شرائع لهم ، فالمسلمون واليهود والنصارى هم أهل كتاب . ومثل هذه البيانات يجب أن تدفعنا إلى التفكير . وبدون أي رغبة في الدخول في مناقشات تتعلق بأصول الدين ، علينا أن نقبلها باعتبارها تعبيراً عن إيمان المسلمين بكلام الله .

ولسوف يصبح من السهل والممكن ، ولا شك ، أن نبين كيف يفسر ويشرح المسلمون والمسيحيون هذا الكلام الذي أنزله الله وأوحى به إلى البشر . فالمسيحيون يؤكدون على التحالف بين الله

والبشر ، بينما يؤكد المسلمون على القانون الأساسي ، على الكتاب المنزل . ولقد اكتشف المسيحيون كلام الله بكامل فيضه ، وبعد تمهيد واعداد طويلين من جانب العهد القديم ، اكتشفوا ذلك في شخص هو « كلمة الله » الذي اتخذ لغة البشر ليعلن عن تصميم الله ، ولقد وجدها المسلمون في كتاب أوحى به سبحانه وتعالى وأنزله على البشر . ويعمل المسيحيون على التقيد بهذه الكلمة الالهية التي اصبحت بشرية بعملية تحويل متواصلة للفكر الذي عبر عنه هذا الانسان ، ويجهد المسلمون كل جهد لتطبيق مبادىء ومفاهيم الكتاب ولو حرفياً إن امكن .

والأمر المشترك بين الطرفين هو احترام كلمة الله والرغبة في الخضوع لها والالتزام بها ، والفرق ينتج عن كون هذه الكلمة هي الشخص والانسان ، أي السيد المسيح بالنسبة للمسيحيين ، أما بالنسبة للمسلمين فهي الكتاب، القرآن الكريم .

كيف إذاً تستطيع هذه الروحانية (القيم الروحية) المسيحية أن تتحمل وتنهض بهذا التناقض ؟ لنلاحظ قبل كل شيء ، أن هذا التعارض ليس جديداً ، وقد واجه السيد المسيح اثناء دعوته . إنه التعارض بين القانون (التشريع) القديم ، والقانون (التشريع) الحديث . ولقد حسم السيد المسيح النقاش بالتأكيد على أنه ما جاء لتهديم هذا القانون بل لاتمامه واعطائه آفاقاً جديدة ، ولهذا ما نطالعه في موعظة الجبل ، التي القاها السيد المسيح على جبل الزيتون . وليس المهم أولاً هو حرفية المبدأ بل روحانيته ، ولذها السبب ، فإن روحانية مسيحية منسجمة مع فكر اسلامي تؤكد ، بالاضافة إلى هذا الاحترام لكل كلام آت من الله ، هذه الرغبة في اكتشاف وتقصي

« علامات » الخليقة ، والتاريخ الانساني ، والتجربة الشخصية .
وكلام الله ليس حوارا ينفرد به الانسان مع نفسه بل، انه يدعونا ويثير موقف الاصغاء ، وينتظر منّا جوابا وانتباه كاملاً . وهذا المظهر الثاني للحوار الانساني ـ الالهي هو الذي يجب أن تعبر عنه القيم الروحية مع العمل على تنقية وتطهير المسببات التي تدفعنا باستمرار إلى الاستماع والانتباه إلى كلام الله مع الخضوع له وطاعته .

إن روحانية مسيحية موجهة نحو الحوار الاسلامي ـ المسيحي ، لا بد وان تلح، من حيث الافضلية ، على هذا الحضور الحالي والمتيقظ لكلام الله. ولكن هناك خطر كبير ، سواء لدى المسيحين أو لدى المسلمين، وهو خطر حصر وتجميد الكلام الالهي أو تغليفه بواسطة أنظمة مغلقة، هي من صنع الانسان .

إن كلام الله هو حيٌّ على الدوام ، ويعمل بدون توقف ، وما يزال يطرق اسماعنا ولكن المستمعين لاهون عنه، لا يعيرونه الاهتمام الكافي ، أو أن انظارهم تتجه دائماً نحو الماضي ، فيما الروح الالهي الذي يخاطبنا ، إنما يدعونا إلى التطلع الى الامام دائماً .

ومن الضروري جداً أن نأخذ بعين الاعتبار حيوية وديناميكية كلام الله ، فهو ليس حرفاً ميتاً ، مسمرا في نص ، أو في حدث من الأحداث ، أنه حضور وحضوره هو قوة . إن روحانية مسيحية حقيقية تهدف إلى الحوار ، إنما تجعلنا نكتشف أن كلام الله هو دائماً حي يتردد صداه إلى الآن في قلوب الناس ، وبنفس القوة التي كان عليها عندما أعلن عنه . وحدها كثافة الخطيئة تصم اذنينا عن النداء الموجه إلينا من عليين .

ثالثاً : الانبياء والدعوة النبوية

إن احدى الاختلافات الأكثر بروزاً في وجهات النظر بين المسلمين والمسيحيين ، هي التي تتعلق بموضوع الانبياء ، وقد عرضنا لما ورد في القرآن الكريم عن أهم هؤلاء الانبياء ، ولسوف نشير هنا فقط إلى الاهمية الكبرى التي يعلقها الفكر الاسلامي ، والفكر المسيحي على الدعوة النبوية في تارخ البشرية ، ذلك اننا ، نحن المسيحيين ، نعترف أيضاً بدور الانبياء كما جاء في التوراة ، كما ونحمل دعوة المسيح والكنيسة ، وظيفة نبوية ، ألا وهي التي توجه البشرية لتحقيق المثل العليا في ارض الله « مملكة الله » .

والذي يظهر لنا جوهرياً في الدعوة النبوية ، أو الوحي النبوي ، بشكل عام ، هو وظيفة المرشد الخلقي والروحي لبشرية جاهلة ، مترددة ، وضعيفة في مسيرتها نحو الله . وللنبي ، سواء بأقواله أو الأمثلة التي يعطيها ، مهمة رسم الطريق الواجب اتباعها ، وتحذيرنا من الأخطار والاوهام والزيف والتقليد ، وأن يجعل الانسان قريباً من الله ، بالاعلان عن حكمه والتبشير بنعمته . ان النبي يبشر ويعلم الدين ويوضح ماهية الوحي ، ويبلغ ، وهو في نظر التاريخ ، غير الديني ، قمة على طريق التقدم الاخلاقي والديني . وهو في اطار تاريخ الخلاص ، يبلغ ويبشر بالاله العادل في حكمه ، والمنقذ ، والمخلص .

ونحن نعلم كيف أن هذه الرسالة النبوية قد اداها السيد المسيح ، وكيف تستمر بواسطة الكنيسة ، وقد لا نعبر عنها كفاية خلال تفكيرنا الاعتيادي . ذلك أننا نتأمل بطريقة اكثر سهولة ـ وهذا

مفهوم ـ بالسيد المسيح المنقذ ، والذي سيتم خلاص البشر على يديه ، اكثر مما نتأمل ونفكر بالسيد المسيح كمبشر وداعية ، وبالتالي كنبي .

ومهما يكن فإن السيد المسيح كان « نبياً قوياً مبرزاً بمعجزاته وبعمله للخير » حيثما وجد ، واينما وجد . لقد كان مخلصاً لربه حتى الموت ، « متواضعاً وبدون غطرسة » ، كرس حياته من اجل ابلاغ رسالته ، تلك الرسالة التي ائتمن عليها رسله، لقد كان النبي المنتظر الذي سيعود مرة ثانية ، ويبعث من جديد ليحاكم العالم والتاريخ كشاهد وحيد للحاكم الواحد ، رب العالمين .

والمسلمون يعترفون من خلال هذا العرض بالسيد المسيح بن مريم ويقدسونه ، ولا شك أن المسيحيين لا يكتفون بذلك . غير أننا في علاقاتنا مع المسلمين يستحسن أن نؤكد على هذا الجانب ، وان نترك للآخرين أن يرسموا التأملات والمعاني ، وبأن يضعوا انفسهم أمام الارادة الالهية والعزم الالهي . ونتساءل : ماذا أراد الله عندما طلب من كل واحد منا بواسطة النبي ، أو بواسطة الرسالة والدعوة والوحي ، وماذا أراد أن يوضح لتاريخ البشرية بواسطة هذا أو ذاك ؟ وبشكل عام ، فإن هذا نداء ودعوة للتأمل والتفكير برحمة الله وعطفه من خلال نداء الانبياء ودعوتهم .

والمهم في هذا الوضع هو أن نأخذ بعين الاعتبار دور الدعوة النبوية في تاريخ الانسانية ، وتاريخ الخلاص والانقاذ ، فيصبح إذن من الممكن أن نقدر ونحدد كل حالة خاصة ، كما نعمل ونقدر عندما نحكم على دور عظماء الرجال فى جريان الأحداث .

وإذا ما وضعنا انفسنا في المسيح وفي الكنيسة ، بملء ذاتنا ، فإنه

يصبح بمقدورنا أن نبرز بشكل اكثر وضوحاً، مختلف الرسالات الدينية وقيمها الموضوعية وامكاناتها على طريق الخلاص . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نتحدث مع غير المسيحيين وهم أكثر اخلاصا وتمسكا من أي وقت مضى واكثر احتراما للثروات الروحية التي تخصهم ، وربما كان بالامكان أن يشتركوا معنا في الطلب الالهي ، من خلال الرسالات المختلفة .

ومثل هذا الموقف لا يهدف اطلاقاً لتفريغ سر السيد المسيح من محتواه ، ولكن لنحدد بشكل أفضل ، من خلال آفاق محاورينا ، بزوغ المسيحية في التاريخ وما حملته اليه من جديد ، الأمر الذي من شأنه التمهيد للحوار الديني ، وتوسيع ساحته ، وخلق آفاق جديدة تعتمد على فضل الله ونعمه اكثر من اعتمادها على الجهد البشري .

رابعاً : الأمة والكنيسة

تأخذ كلمة « الأمة » في الاسلام أقوى المعاني ، ويشكل الايمان الديني أساسها . ومما يلفت النظر هو أن نلاحظ كما أن هذا التضامن يعبر عن نفسه باكثر وضوحاً ، مما نراه في العالم المسيحي . ويمكننا أن نجد لذلك اسبابا اجتماعية لعبت الدور الكبير فيما كانت عليه المسيحية في الماضي . ولكننا لن نتوقف عند هذا الموضوع .

مما لا شك فيه ، فإن مثل هذا التضامن هو قيمة إنسانية حقيقية ، وهو الذي يصور ويجسد مسبقاً هذه الأمة الانسانية ، التي يوجهنا اليها ايماننا نفسه . فالكنيسة هي أيضاً تطمح الى تجميع الانسانية في بوتقة واحدة ، وجسم واحد ، وتفسر نفسها بانها « أمة

الله » التي تسير نحو الرب الذي هو « غاية التاريخ الانساني » وهو النقطة التي تتلاقى عليها رغبات التاريخ والحضارة ، وهو مركز الأصل البشري ، وهو الفرحة التي تملأ القلوب ، وهو التكامل والتوافق الذي يعبر عن الاماني والآمال .

ويمكننا أن نشير هنا أيضاً إلى بعض الخلافات في وجهات النظر بين المسلمين والمسيحيين بالنسبة لطريقة تصورهم وفهمهم للأمة .

فالمسلمون يميلون اكثر الأحيان إلى تخصيص الأمة بالمسلمين وحدهم ، بينما يرى المسيحيون أنه ليس بامكانهم أن يبعدوا عن الامة المؤمنين الذين يعيشون خارج الحدود المرئية للكنيسة ، في اطار العدالة وخوف الله .

والمسلمون يعبرون عن هذه الأمة بالخضوع للشريعة وتطبيقها ، الشريعة التي تتجه إلى توحيد الثقافات . بينما يؤكد المسيحيون على انسجام الثقافات ، معتبرين أن كل ما فيها من حقيقة وخير ، إنما هو إرث مشترك للجميع .

والتضامن الاسلامي يميل إلى اخضاع الحرية الروحية الى موجبات الاجماع ، بينما يميل المسيحيون إلى التشديد على الحرية ، بالرغم من انها تحمل مخاطر على التضامن ، وهناك توازن ممكن ، تصعب المحافظة عليه ، لاحتمال تغيره ، حسب الازمان والامكنة .

وباختصار يمكن لنا ، بشكل مبسط ، أن نلخص هذه الخلافات ، من خلال الملاحظة التالية .

إن الأمة الاسلامية موجهة إلى خير المجتمع الذي يضم المؤمنين

سواء روحياً ، أو دنيوياً ، والأمة المسيحية ، الممثلة بالكنيسة بصفتها الموحدة لجميع المسيحيين ، ترتكز على (شخص) وهو شخص السيد المسيح ، وموجهة لخير الأفراد .

وتجاه هذه الخلافات فإن المسيحي سيعمل على ترتيب منزله الخاص به وتوحيد ما فيه ومن فيه ، وهذه الوظيفة هي مهمة الكنيسة بالذات .

فكيف يمكننا أن نتحدث عن توحيد ما لم تتكون في اعماقنا روح كنيسة موحدة ؟ إن هناك جهوداً كبرى يتوجب على المسيحيين أن يبذلوها في هذا الاتجاه ، ويجب أن لا ننسى أن فضيحة تمزق وانقسام المسيحيين ، كانت حجر عثرة ، استغلها الاسلام ، في كل زمان ، منذ ظهوره ، ومنذ نبوة محمد ﷺ ونزول القرآن .

لذا يجب علينا أن نربي وننمي ، دون كلل أو ملل ، في نفوسنا ، معنى ومفهوم الوحدة بين المسيحيين على أن نضحي بغطرستنا ، وبافكارنا المسبقة المتعصبة ، دون أن نضحي بايماننا .

وهذه الروحية يجب أن لا تقتصر فقط على الكنائس ، بل يجب ان تشع خارجها ، فغير المسيحي يجب أن لا يشكل بالنسبة لنا خصما ، ولكن يجب أن نعتبره اخا ، يفتش مثلنا ، بالوسائل الموجودة في حوزته ، عن سبل التجاوب مع دعوة الله ونداائه ، بكل ضمير حي ، وقد يتم ذلك مقابل تضحيات ، قد تكون بطولية ، رائعة . ونظرتنا اليه ، ليس إلى شخصه وحده ، بل وإلى ثقافته أيضاً ، هي التي يجب أن تتبدل ، وتتحول في نفوسنا إلى نظرة محبة ، وأن تزول نظرة السيطرة ، أو نظرة اللامبالاة ، والتي لا نريد ان نسميها نظرة الاحتقار .

هذا الموقف الروحي ، يجب أن تتجاوب معه الفكرة التي تؤكد على دور الانسان في المجتمع . وبشكل عام فإن المسلمين غالباً ما يحكمون على الكنيسة ، من خلال مظاهرها الاجتماعية . فعلينا أن نبرز من خلال حياتنا وتصرفاتنا ، أن الانتماء الى رسالة السيد المسيح ، يتطلب منا الاختيار الحر الذي لا يعبر عنه فقط بالفرض ، والالزام باحترام المبادىء ، بل وبالنصائح التي يعرضها الله على كل مؤمن أيضاً . (الفروض والنوافل) .

وحرية المسيحي هذه هي الدليل على صدق ايمانه ، وهي التي تعتبر الشهادة التي تنتظرها منا الأوساط المسيحية منها وغير المسيحية ، حيث يتخذ الانتساب الديني ، الطابع الاجتماعي ، أو ليس هذا ما عناه السيد المسيح عندما تحدث عن اليهود والسامريين فقال : خلافاً للسامريين ولليهود هناك من يعبد بالروح وبالفكر والحقيقة ، وهؤلاء هم العابدون كما يريدهم (الأب) . هذا هو النداء ، وهذه هي الدعوة في حياتنا المسيحية إلى أصالة أقوى ، وإلى التحرر من الضغوط ، والكبت الاجتماعيين على الأمة . والكنيسة تفتش عن مثل هؤلاء العابدين لتربيتهم وتوجيههم ، ومن خلالهم تشهد على سرها .

خامساً : صلاة المسلم وصلاة المسيحي

بالرغم من أن الصلاة هي أقل بروزاً ووضوحاً في الحياة الاجتماعية المسيحية ، كما هي الحال بالنسبة للمسلمين ، غير أنها الصلاة تلعب دوراً رئيسياً وشموليا في حياتنا كمسيحيين . فالمسلم والمسيحي يعتبر كل منهما أنه عبد ومتعبد للواحد الحي الحق ، ولكن هنالك فرق أساسي يجب أن نعيه جيداً بالنسبة لمعناه الحقيقي .

فالمسلم يميز نفسه بالقرآن الكريم ، من خلال كلمة « عبد » لله ، رب السموات والأرض ، فيخضع لارادته ويسبحه ويستغفره ، ويلتمس منه الفضل المادي والمعنوي ، والنعمة المادية والمعنوية ، ويلجأ إليه ابتعادا عن الاثم والشر ، ويفتش عن السلام الروحي في رعاية الله وعطفه ، وطبقاً لرغبته ، ويجب أن يعيش في ظل الصبر والاعتراف بالفضل ، والأمل ، والخوف ، واقامة شعائر الصلاة المفروضة خمس مرات يوميا ، والصلاة يجب أن يكتنفها ويرافقها الخشوع ، وهذا موقف روحي مصحوب بالشعور بعظمة الله وقدرته بشكل خاص وممتزج بالشعور بضرورة توبة الانسان المذنب ، وهو لا يصلي فقط كفرد من الأفراد ، بل كعضو ينتسب إلى الأمة الاسلامية .

ويعتقد المسلم أن هذا الاسلوب في الصلاة هو الوحيد الذي يليق بعظمة الله ، وبالله نفسه ، وهذا ما يجب أن يعتقده كل المؤمنين ، خاصة أهل الكتاب (المسيحيين واليهود) مستنداً في ذلك ، إلى القرآن الكريم ، الذي ينكر ادعاء هؤلاء بانهم ، كما ورد في سورة المائدة (الآية ١٨) : ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير﴾ ـ صدق الله العظيم ـ وإذا ما طرحنا جانبا موضوع اليهود ، ! والحجج التي وردت وفصلت من قبل علماء التفسير الاسلامي حول المسيحيين ، فإننا نجد في هذا النص نوعاً من المحاكمة لضمائرنا . ماذا ستكون عليه روحانيتنا كابناء الله ، والتي يجب أن تتخلل صلاتنا وتدخل اعماقها ، فاعلان كوننا (ابناء الله) يشعر به المسلمون وما زالوا كما لو كان ادعاء مبالغاً فيه ، ولا

يستطيعون تحمله عندما ينظرون الينا عن قرب .

إن حياتنا الروحية (كابناء الله واحبائه) تتأصل وتجد جذورها في العديد من النصوص التي وردت في « العهد الجديد » وهي تتكامل ويوضح بعضها بعضا. وفيما يلي بعض النصوص (انظروا إلى هذا الحب الكبير الذي يكنه لكم الأب سواء ، وهو ان نسمى بابناء الله ، ونحن كذلك) . وقد علمنا القديس بولس « ان الله قد قدر لنا أن نكون صورة على مثال صورة ابنه » . وهذه المماثلة يجب ان تتعمق فينا اكثر فاكثر ، حتى تتحول إلى حقيقة مماثلة في اجسامنا .

إذا فنحن مدعوون لأن نعيش عطاء بدون مقابل ولا نستحقه ، ولكنه عطاء حقيقي بالرغم من أنه في طور النمو . إنه يشبه رشيم القمح الذي وضع فينا لكي نتحول به من الداخل وفي المظهر ، حتى نجد مكاننا الطبيعي في خاصة الله ، التي عرضها علينا لنحيا فيها معه . وهذا ما لا يصدق بشرياً . إنه يشبه نوعا ما التطعيم الذي يجب أن يعطي حياتنا كمخلوقات ، أو كبشر نماثل الآخرين ، طعما الاهيا بمقدار ما نكون متجاوبين معه .

وهذا لا يمنعنا من الاستمرار في اعتبار انفسنا ، نحن أيضاً كعبيد ، نعبد ونخضع ونمثل كالمذنبين الذين يحتاجون للعفو والمغفرة والتصويب والتصحيح .

وإذا كان الله يصلح (ابناءه واحباءه) ، فلأنه يريد معاملتهم كابناء واحباء . وتشبها بالسيد المسيح ، ورغبة منا في الاستمرار بالبقاء معه يجب علينا أن لا نفتخر بهذا العطاء من الله ، ونعتبره نوعا من التفوق والتعالي على الآخرين ، أو نعتبره كامتياز مخصص بنا بل

بالعكس علينا أن ننفتح لهذا الاعتبار شيئاً فشيئاً ، وبازدياد ، كجواب على المحبة التي خصنا الله بها قبل غيرنا ، وأن نجعل من انفسنا لهذا السبب بالذات ، عبيدا وخداما لاخواننا وامثالنا من البشر كلهم .

وهذا الأمر يتعلق من جهة ، بتنمية معنى النبوة الالهية في ذواتنا ، وأن نترك نفوسنا تتشبع بمشاعر المسيح نفسه ، ومن جهة ثانية علينا أن نتدرب لكي نعيش هذه البنوة ، لا من اجل نفوسنا وحدنا ، ولكن من اجل اخوتنا من البشر في نطاق احترام معتقداتهم وضمائرهم ، وأن نوقظ في داخلهم وذاتهم هذه الدعوة الالهية التي منحها الله للجميع بواسطة التحرر الالهي ، وأن نعجل بانقيادهم وطاعتهم لروح الله وفكره الذي يؤثر في كل مكان في هذا الاتجاه . وهكذا فإن صلاتنا كمسيحيين : « عبادة العبد لخالقه ، ضعف المخلوقات توبة المذنبين واستغفارهم ، التسبيح بحمد الله ، والاعتراف بفضله ، وبجميل عطائه ، واحترام ارادته إرادة الابن في التجاوب مع رغباته الالهية » . . إن كل صلواتنا يجب أن تتجه نحو التنفيذ والاداء المطلق وغير المحدود لعطاء الله في نفوسنا . ويجب في نفس الوقت أن نشارك في جميع الجهود التي تبذلها كل الكائنات البشرية ، ونخص هنا المسلمين ، لاستكشاف ارادة الله وعبادة الخالق ، رب كل شيء موجود ، مع تسبيحه والاعتراف بفضله ، ولكي نتألم ، ونمتحن بإذنه ، ولكي نعمل على تنمية الثروات المخبأة في الخليقة جمعاء .

وقمة هذه الصلاة التي يجب أن تشمل كل البشر ، وخاصة من نحن معهم باتصال مباشر ، أو بالحوار ـ إنما تتجلى بالنسبة لكل مسيحي ، في عبادة الله ، وتتجلى بالنسبة لنا نحن الكاثوليك في بعض

صلواتنا الخاصة وطقوسنا ، خصوصا عندما نجمع كل حمد وكل تمجيد لنقدمه (للأب) مع المسيح ومن خلاله في وحدة روح القدس .

وصلاتنا ، على الأرض ، يجب أن تكون الطاعة ، المتجددة باستمرار ، بواسطة تربية انفسنا تربية إلهية ، وان تكون في الوقت ذاته نيابة عن كل الذين لا يشعرون بعد في الوقت الحاضر ، بواجبهم لأن يعوا دعوتهم كابناء لله . وإذا ما سلك المسيحيون هذا الطريق في حياتهم ، وفي صلاتهم ، مسلك ابناء (الاب) الذي يعبدون بالروح ، وبالحقيقة ، فيترتب عليهم أن يكونوا اذا ، بالمثال الحي لا بالكلام ، الاشخاص الذين يوقظون هذه الدعوة وهذا الوحي في نفوس الآخرين الذين هم أيضاً احباء (الأب) المفضلون .

ومن خلال هذه الملاحظات والأفكار لم نشأ اعطاء وصفات ، لكننا حاولنا تحديد روحية ، هي أبعد ما تكون عن التوافقية ، وعن التعارض والمهاترة بذات الوقت ، ونحن على وعي كامل لخلافاتنا المتبادلة ، كما نحن على وعي كامل بنقاط الالتقاء المشتركة . ومع الأسف ، فاننا نتوقف في اكثر الحالات عند هذا الحد . ولكن الا توجد طريقة اخرى ، لم تتضمنها النصوص ، ولكنها واردة في مجرى الحياة ، هي طريقة التقارب المتبادل للنقاط المشتركة بيننا ؟ وهذه طريق لم تكتشف بعد ، وعلينا أن نجدها ، ونبتدعها ، في كل مرة حسب المحاورين ، وحسب استعدادهم لقبول دعوة الله وندائه . ومن خلال ابحاثنا الفكرية الضرورية لاقامة حوار اسلامي مسيحي ، في جو من الموضوعية ، يجب أن نستكشف سوياً استمرارية

الطرق والنتائج التي تقودنا إلى وحدة القلوب والأفكار ، في ظل احترام العقائد الأساسية والتوجهات الرئيسية لكل منا .

وبدون أي شك ، فنحن لا نرى كيف يمكن لهذه الطرق أن تلتقي بعضها مع بعض ، ولكننا نلاحظ تقارباً حيويا لآمالنا وامانينا ، ومن خلال هذا التقارب ستنشأ ، بالطبع ، روحانية عقائدية ، موجهة نحو الحوار الاسلامي ـ المسيحي . بانتظار ان يصبح كل المؤمنين موحدين في جسم واحد ، وبوتقة واحدة .

الخاتمة

حسب المفهوم الذي يعتنقونه عن الاسلام ، فإن للمسيحيين مواقف مختلفة جداً والسائد لدى الكثيرين منهم هو اللامبالاة ، وعدم الاهتمام ، ويرون أن الاسلام هو دين كغيره من الأديان ، ويرون ترك المؤمنين المنتسبين لكل طائفة دينية ، أو لكل مذهب ديني ، أن ينظموا انفسهم كما يرون ، وما عليهم ان يتدخلوا إلا على اضيق نطاق ، في المجالات التي تعتبر غريبة عنهم ، وتسمعهم يقولون :

إن خير ما يمكن عمله ، هو وضع حدود معينة بين الطوائف والمذاهب المختلفة ، وتخفيض مستوى العلاقات وتقليلها إلى الحد الادنى ، تلك العلاقات التي تفرضها المجاملة وحسن الجوار .

وهناك آخرون على العكس ، فانهم يبدون اهتماما حقيقياً بالعالم الاسلامي ، إلا أن أسباب هذا الاهتمام تبدو متغيرة ومتقلبة إلى حد كبير .

وهكذا فإن بعضنا يكتفي بالحكم على الأمة الاسلامية من خلال الاحداث اليومية التي تنشرها الصحافة في انحاء العالم ، وهذه

الأحداث والأخبار اليومية هي مصدرهم الوحيد ، والوسيلة الوحيدة التي تمكنهم من التفكير والتأمل في هذا المجال ، ومن المؤكد أن الحدث يبقى حدثاً ، ويظل الخبر خبراً ، وقد يكون كل منهما في بعض الأحيان محزنا ومؤسفاً ، وقد تكون له نتائج خطيرة ، ولكن الحدث وماهيته قد يختلف عليه ، سواء في التفسير أو الحكم ، وقد يكون هذا الحكم متحيزاً والتفسير خاطئاً . ان نظرة الايمان التي يجب أن نرى بها الاسلام والمسلمين ، ما تزال في اكثر الحالات مجهولة أو غامضة ، أو ذات طابع مثالي . إن المسيحي الذي يهتم بالعالم الاسلامي لا يمكنه أن يكتفي بالاحكام الضيقة الآفاق ، والتي لم تكتمل .

وهنالك آخرون يعتبرون أن الاسلام عقيدة اجتماعية أو سياسية . ولا يهتمون به إلا في اطار الدبلوماسية والتخطيط الاستراتيجي ، وفي الحد الذي يمثل فيه قوة على المسرح العالمي أو يبرز بهذا الشكل . وهكذا يصار إلى التعتيم على المظهر الديني ، أو أنه يفرغ من محتواه بشكل كامل . وآخرون يهتمون بالاسلام من الزاوية الثقافية ، باعتباره يمثل حضارة ، أو ظاهرة فكرية أو يشكل تعبيراً دينياً يصنف ويدرج في تاريخ الاديان .

ووجهة النظر هذه لا تخلو من الاهمية بل إنها عميقة الفائدة في اكثر الأحيان لأنها تحملنا على معرفة أفضل للاديان . ولكنها قد تظل لدى الكثيرين خارج اطار المفهوم الاسلامي الحي ، وبعيدا عن معرفة من هم المسلمون ، وكيف يريد المسلمون أن يكونوا في أعماق ذاتهم .

والموقف الذي اعتمدناه في هذه الدراسة يختلف كل

الاختلاف . فمن المؤكد أنه لا يمكننا أن نظل في موقف اللامبالاة من حركة دينية واسعة وشاملة كما هو الاسلام .

والاهتمام الذي نريد أن نعيره للاسلام لا يمكن أن يكتفي بالنظرة السطحية للمراقب المباشر ، ولا يمكن أن يقتصر على تأمل فلسفي أو تفكير عالم ديني يبقى في موقف الغريب عن الحقيقة الحية للبشر ، واقل من ذلك كله الحسابات السياسية المغرضة ، فهي أبعد ما تكون عن هدفنا . لقد أردنا أن نقدم في هذه الصفحات ، الاسلام كعقيدة وايمان ، كمسيرة نحو الله ، وكتكامل للانسان في ذات الاله . ولا بد من الاشارة إلى أن هذا عمل اساسي وهام جداً .

وإذا لم نستطع نحن المسيحيين من رهبان وقساوسة وعلمانيين أن نرتفع الى هذا المستوى ـ ويجب أن نقول ذلك دون مراوغة ، أو مواربة ـ فاننا لن نصل الآ إلى اخطاء ، في الحوار الاسلامي المسيحي الذي نرجوه .

ولا ندعي هنا باننا نقدم نظرة جديدة عن الاسلام ، وكثيرون قبلنا قد شاركونا في هذا الموقف ، في الصمت وخشوع الصلاة ، وهو موقف مستوحي من الانجيل ثم أليس هو الموقف الذي اتخذه السيد المسيح تجاه النفوس المؤمنة والصادقة، التي يحركها ويغذيها ايمان حقيقي وصادق ، وقد اتصل السيد المسيح بمثل هؤلاء ، وكان ما اكتشفه بكل سرور ومحبة واعجاب ، هو ايمانهم .

أو لم يجد الموقف صداه في المؤتمر الكنسي الثاني ، عندما أبدى هذا اعجابه وتقديره واحترامه للمسلمين دون أية انتهازية ، أو حسابات ، وليس لأن المسلمين ورثوا حضارة عظيمة حققت الكثير

من الانجازات والانتصارات ، بل لأن المسلمين يشاركون بايمان وعقيدة تجعلهم قريبين من المسيحيين .

والخطر سيكون عظيماً إذا تحول الحوار الاسلامي المسيحي عن المجال الروحي إلى المجال الدنيوي . طبعاً نحن لا نريد ان نستنكر ونشجب المجال الدنيوي ، لكي نحصر انفسنا ونقيدها في المجال الأول الروحي . وإذا ما فعلنا ذلك قد نتهم ، وبحق ، بالمثالية والتصرف الملائكي . بل علينا أن ندرس بدقة واهتمام ، المجال الأول ، والمجال الثاني ، في آن واحد ، من خلال الحوار ، بحيث يرتبط المجالان في آن واحد بالحوار ، ومن خلال الحوار ، كل الارتباط ، على الأقل في تفكيرنا .

إنه الانسان بشموليته الذي هو شريكنا ، ولا يمكن على الاطلاق التوصل إلى معرفة الاسباب العميقة والمبررات لوجوده ، إذا استبعدنا من حيث المبدأ ، أو باهمال ، حياته الروحية والمعنوية .

وليسمح لنا إذن أن نكرر إصرارنا ، ولو بدا ذلك ثقيلاً ، إذ يجب ان نقاوم ميلنا إلى التعميم : على أنه لا يمكن فهم الاسلام ابداً ، إذا لم نبدأ باعتباره عقيدة وايمانا .

ولا يمكن بالتالي أن نلتقي مع المسلمين ، مهما كانوا ، إذا لم نستكشف في أعماقهم الذاتية ، تلك القيم الدينية والروحية التي بها يحيون .

وإذا ما ارتضينا بهذه الحقيقة في حوارنا ، فإن المسلم الذي نلتقي به لن يبقى بعد الآن في نظرنا ذاك الخصم في الصراعات الماضية أو الحاضرة أو ذاك المنافس لمشاريعنا ، أو ذاك الشاهد المجهول على

ثقافة من بين الثقافات الأخرى . بل إن هذا المسلم سيكون ، بالنسبة لنا ، وفي نظرنا ، ذلك الانسان الذي يحمل الايمان في قلبه ويؤمن به ، والذي سيبذل مثلنا ، الجهد من أجل الخضوع لله وطاعته ، وتنفيذ أوامره وارادته إلى النهاية . ومن هنا سنكتشف في هذا المؤمن أخاً وشقيقاً ، وهذا ما سيؤدي بالطبع إلى تغيير نظرتنا ومفهومنا للعالم الاسلامي ، وأن نفتح الأبواب اخيراً أمام حوار حقيقي .

•




كلمة لا بد منها

مثلما لدينا أزمة تعبير ، إلى الآن لم نتجاوزها تماما ، فلدينا أيضاً أزمة اخطر هي أزمة حوار ، وإذا كانت كلمة أزمة تقترن في اذهاننا دائماً بانها شيء سيء . . . الأزمة اللبنانية ، أزمة الشرق الاوسط . . . فكلمة الأزمة حين تقترن بالحوار هي الوحيدة بين الأزمات التي حين تلمسها عن قرب تسعد بها ، ذلك انها تعني اننا كفننا عن التحاور صداما وعنفا ، تطرف من هنا يرد عليه تطرف من هناك . . . . أو يحدث ما هو اخطر ، وينشأ صمت رهيب ، والصمت معناه استنفاء حتى وسيلة التصادم . . . . ومعناه التحفز وكل ما يمكن أن يعقبه من انفجار .

كتاب (من أجل حوار إسلامي مسيحي) الذي أصدره الكرسي الرسولي (الفاتيكان) وقمنا باعداده هو بمثابة العودة للتحاور . والعودة للتحاور علامة صحة . . . . بل علامة تفاؤ ل ، فانت لا تحاور ولا تسأل شخصاً أنت فقدت الأمل فيه . . . انك لا توجه الاسئلة مهما كانت جارحة وشائكة إلا لأن عندك ثقة أنك على الأقل ستظفر بجواب ، مهما كان رأيك فيه ومهما غضبت منه ، فالمعنى

الواضح لاصغائك له ، ولو لكي تثور عليه ، ان عندك أمل أكيد أن تساؤلك غير موجه إلى مذنب أو متهم ، فنحن لا ندخل في حوار مع من قررنا أنهم مدانون !

الدعوة للتحاور والتساؤل إذن علامة على نبذ لغة بدائية غير متحضرة ، والدخول في مرحلة انسانية على الأقل ووسيلتها متمدنية .

أما أن هناك أزمة حوار فتلك حقيقة واضحة جلية ، فازمة الحوار سببها كثرة الاسئلة المطروحة ، والحاحها ، وتزاحمها في العقول وعلى الألسنة ، وضيق قنوات الاتصال الكائنة بين السائلين والمسؤولين ، وندرة الظفر بجواب . . . . هذا إذا تم الظفر بجواب اصلا ، فعدد الذين يملكون القدرة على الاجابة الصحيحة الواعية قليل جداً ، وكم الاسئلة هائل جداً ، ولقاء الذين يملكون الحق في الاجابة احداث نادرة في حياتنا العقائدية الحديثة ، وتكاد فرص اللقاء تنحصر في اجتماعات مغلقة وضيقة تخصص للقادة وليس للافراد ، من هنا كانت أهمية دعوة الكرسي الرسولي للحوار . . . الحوار بين الناس المعنيين بقضاياهم ومصيرهم .

لقد انتهى تماما عصر اطلاق الأوامر وتحديد الأهداف ، بدون اقناع ، وبعيدا عن العقل ، وبدأ عصر الادراك والفهم والاقناع .

إن الرجل العام في هذا العصر هو الذي يأخذ من الناس ويعطي الناس ، ويعلّم ويتعلّم ، ويكتشف ، ويستلهم مواضيعه وهو داخل أحضان الناس ، سامعاً دقات قلوبهم مطمئنا إلى نبضهم ،

مفتوح العينين تماما على كل كبيرة وصغيرة من أمور الحياة وهمومها وافراحها وعثراتها . فمن الشعب حيا ومنتجا يستمد رجل العقيدة حياته ومن اجتهادات الناس الذاتية في الابداع يستلهم ويوحى اليه بما لم يكن مطلقاً يستطيع الوصول اليه .

إذن :

الدعوة إلى الحوار هي بمثابة الدعوة إلى القضاء على جبال التخلف، والانطلاق في عصرنا الحديث الذي بدأ منذ ما يقرب من مائتي عام . . . تلك الانتفاضة التي جعلت الناس يبنون الطب الحديث ، والهندسة الحديثة ، والادراك الحديث . . . بحيث لا يكره احد على ما لا يحب . والاسلام سبق أن أدرك كل هذا قبل ١٤٠٠ عام .

ويروي ابن عباد أن رجلاً من بني سالم بن عوف يقال له الحصين ، كان له ولدان مسيحيان ، فأسلم ، وسأل رسول الله ﷺ فيما إذا كان يجب عليه اكراه ولديه على اعتناق الاسلام وهما يرفضان كل دين غير المسيحية ، فأنزل الله تعالى الآية :

﴿لا اكراه في الدين﴾ .

وبعد :

إن المسلم يملك في الاسلام حرية تتيح له أن ينظر في كل شيء بعقله ، وأن يناقش كل شيء بعقله ، وأن يقتنع بما يطمئن به وجدانه ، فحرية المسلم إذن حرية مسؤولة ، والمسلم حر إلى ما لا نهاية ، وباب الاجتهاد مفتوح إلى ما لانهاية ، لأن باب الاجتهاد هو العقل ، وقفل باب الحوار يعني قفل العقول واغلاقها وموتها في

النهاية ، ولا يقبل الاسلام رجالاً ماتت عقولهم ، أو تحجرت أو تخلفت .

لهذا فإن المسلم يستقبل التحية باحسن منها ، ويقبل على الحوار بقلب مفتوح ، وعقل مفتوح ، واعتقد أن هذا هو الهدف الأساسي من اصدار كتاب :

(من اجل حوار إسلامي مسيحي) .

الدكتور سليم اليافي زهير المارديني

الفهرس

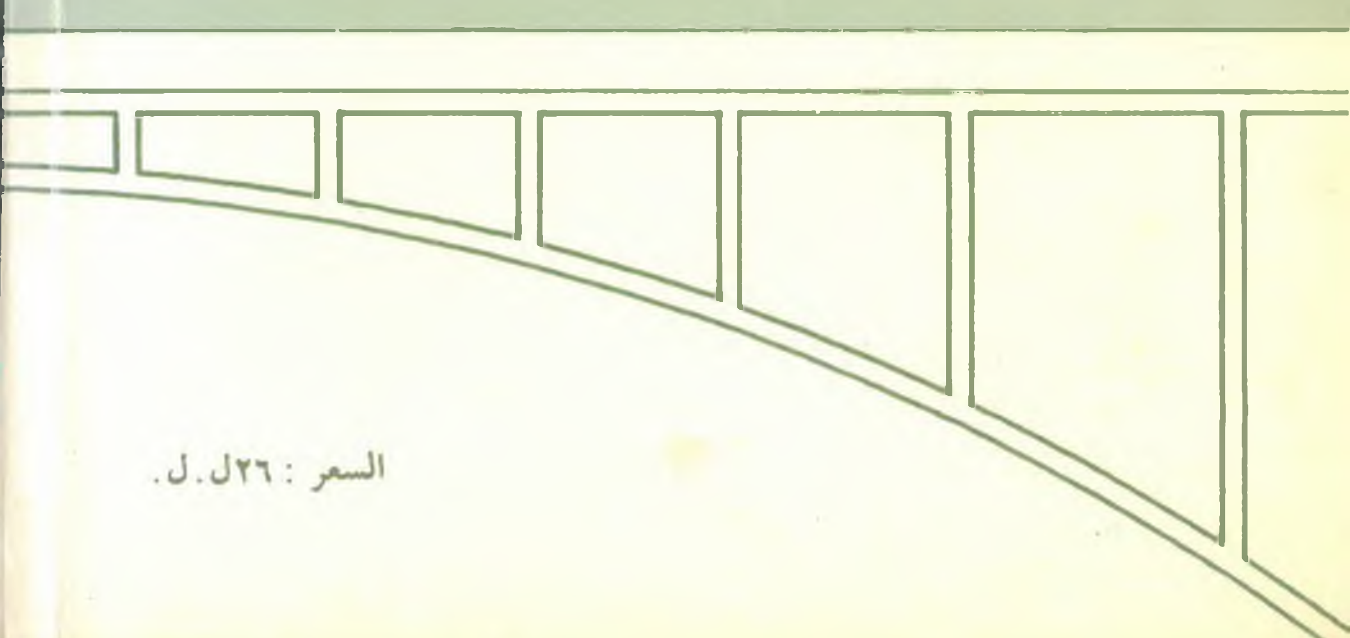
مقدمة (بقلم الدكتور بطرس ديب)	٥
مقدمة (بقلم المحامي فيصل طبارة)	٩
هذا الكتاب	١٥
تقديم	١٩
تمهيد	٢١
الفصل الأول : موقف المسيحي من الحوار	٢٧
الفصل الثاني : التعرف على قيم الاسلام	٤٩
الفصل الثالث : انماط المحاورين المسلمين	٧٥
الفصل الرابع : كيف نتهيأ ونستعد للحوار	٩١
الفصل الخامس : آفاق الحوار الاسلامي المسيحي	١٢٩
الفصل السادس : روحانية المسيحي الملتزم بالحوار	١٤٣
الخاتمة :	١٦٥
كلمة لا بد منها	١٧٦

كتاب « من أجل حوار إسلامي مسيحي » هو ترجمة لكتاب اصدره « الفاتيكان » باللغة الفرنسية موجه إلى الشعوب المسيحية عقب مجمع الفاتيكان الثاني الذي انتهى عام ١٩٦٥ ، هذا النداء الذي جاء تحت عنوان « توجيهات من أجل حوار بين المسلمين والمسيحيين » والذي صدر في طبعة جديدة خلال عام ١٩٧٠ .

ونحن إذ ننشره باللغة العربية لنضعه ، بين أيدي القراء من مسلمين ومسيحيين ، لعلهم يرون فيه الحقيقة الناصعة لكل دين وعقيدة وإيمان .



النسخة الفرنسية للكتاب



السعر : ٦٢ل.ل.